مع هذا العدد رسالة الحج هدية

الوعي الإسلامي

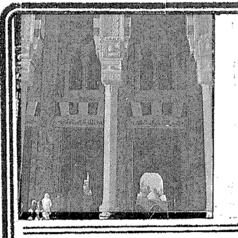
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٥ ـ غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ ـ ٦ ديسمبر ١٩٧٢ م





سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح عند وصوله الى مطار الكويت الدولي قادما من الولايات المتحدة الامريكية ، ويرى سموه وسمو ولي العهد وعدد اخر من كبار المستقبلين في أعقاب نزول سموه من الطائرة .



أحد أبواب الحرم المكي وقـــد اجتمعت فيه الى روعة الفن الاسلامي جـلال الروحانية .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثامنـة

العـدد ٩٥

غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ
٦ ديسـمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فـى غـرة كـل شهـر عـربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

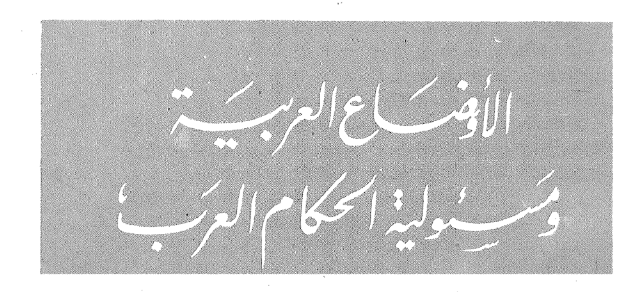
الكـويت	٥٠ فلسـا
السـعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليمـا
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبيـة
اليمن وعـدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشـتراك السـنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخـارج ٢ دينـاران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافـراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .
ص.ب : ١٣ كـويت
هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨



أدلى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بتصريحات الى موفد صحيفة الاهرام القاهرية السيد زكريا نيل بمناسبة انعقاد لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب فى الكويت . وقد تساءل سموه فى بداية تصريحاته قائلا :

هل ينعقد هذا الاجتماع وينفض كما انفض غيره من الاجتماعات وتكون حصيلته الجمود ؟ الى اين نحن ذاهبون ؟ وهل انسدت فى وجوهنا كل وسائل الممارسات الايجابية لمجابهة عدوان اسرائيل وعندنا من القدرات والطاقات والوسائل ما نستطيع به أن نعمل وان نفرض وان نستخلص الحق العربى من مغتصبه ، ثم عاد سمو الشيخ جابر الاحمد فقال : من المسئول عن هذه الاوضاع التى أوشكت أن تؤثر فى الانسان العربى وتطفىء فيه كل حماس ؟

وفيما يلى النص الكامل لتصريح سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء :

نعم نستطيع أن نعمل ..

هكذا قال رئيس وزراء الكويت .. ولكن كيف ؟ الظروف الآن قد اختلفت ، والآن ماذا نطلب من مصر أكثر مما تتحمله من الاعباء اننا نؤيدها ونقف الى جانب رئيسها الرئيس أنور السادات ، ويكفى أن موقفه كان صريحا كل الصراحة أعلن على العرب أن المسئولية ليست مسئولية مصر وحدها ، ولكنها مسئولية الدول العربية كلها ، وان خطر اسرائيل قد تجاوز كل الحدود والحسابات ولذلك يجب أن تكون المجابهة جماعية ومحددة الالتزام .



سمو
ولى العهد ورئيس
مجلس الوزراء

اذن هل ترى أن قومية المعركة هى الاساس ؟

قال الشيخ جابر الاحمد : اننا نؤيد كل التأييد قومية المعركة ، نؤيدها فعلا والتزاما لا قولا وتصريحا بل اننى أرى أن كل من يخرج عن قومية المعركة أو يتنصل منها خائن لقضيته ووطنه ، ولقد سجلنا التزامنا لقومية المعركة كتابة فى رسالة الى الأخ العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة الليبية ، ونعتبر أن كل دولة عربية وكل طاقة عربية مهما كانت ضآلتها عليها واجب فى معركتنا مع عدونا ، ولكن سؤالى الآن الى أين نحن ذاهبون ، هل ستبقى الدول العربية على هذه الحالة ، وان ينحصر دورها فى أن تسجل على اسرائيل كل تحركاتها ، وتكتفى من المجابهة بذكر تفاصيل مسهبة عن كل عدوان تشنه على أراضينا ؟ ما الذى دهانا وما هى الحلقة المفقودة التى أدت الى وضعنا هذا ؟ هناك من يهمهم أن تبقى الاوضاع على ما هى عليه الآن بين العرب واسرائيل ، وفى مقدمة ذلك الدول الكبرى ، التى لها مصالح فى استمرار هذه الاوضاع واذن علينا أن نسقط من حسابنا هؤلاء الذين لا يريدون لنا الا ما يريدونه هم والذى يتفق مع مصالحهم الذاتية .

ثم قال الشيخ جابر الأحمد : من المخجل لنا ولسمعتنا العربية أن تضيع منا الوسائل وهي في يدنا ، نعم ــ قالها بقوة ــ توجد امكانيات عربية وطاقــات عربية وأسلحــة عربية تستطيع أن تقوم بدورها بكل كفاءة فاذا كانت مصر الرابضة في وجه العدوان وتجند مئات الالوف من شبابها تحت السلاح في مجابهة العدو ولا يستطيــع طيرانها أن يصل الى مدى العمق في داخل اسرائيل ردا على ما تقوم به من اعتداءات متواصلة على الأجواء العربية الى حـــد السيطرة عليها فان جماعية مجابهة العدو تفرض علينا أن يكون هناك تكامل في قوتنا العسكرية هناك الاردن علـى حدود اسرائيل وهناك سوريا أيضا .

ومن هناك يمكن تعويض القصور في الوصول الـى عمق اسرائيل .

نترك مقاعــد الحكم ...

اذن ما هي الوسائل ، والكل ينتقد ، ولا يستطيع أن يقدم حلا أو مقترحا ؟ .. قال الشيخ جابر الاحمد : نقطة واحدة هي الاساس ، الثقة بين العرب وهذا العنصر مفقود بيننا ولا توجد ثقة بين الدول العربية بعضها البعض وهذه هي مشكلتنا، التي أوصلتنا الى تلك الأوضاع المتدهورة كيف تتوافر الثقة فيما بيننا كانت هناك محاولات سابقة ولا تزال مستمرة لتوحيد الصف العربي ، وتصفية الجو وازالــة الخلافات وقد تنجح هذه المحاولات ولكن من الذي يضمن ان يبقى للكلمة والاتفاق شرفه سواء كان مكتوبا أو غيــر مكتوب .

سؤال واحد نوجهه لأنفسنا : هــل نحن جديــرون بمسئولية الحكم وقيادة أمتنا الى النصر اذا كنــا جديرين بذلك فلا يهمنا ونحن نخوض معركة تحرير وشرف ومصير أن نظل على مكاتبنا أو في مناصبنا يتحتم علينا أن ننــزل

على ارادة الشعب العربى • لنحـــافظ على عنصر الحماس فيه ، وان نتحرك بأى عمل عربى جماعى له هدفـــه المحدد الذى نصل اليه فى صراعنا مع عدونا أما أن نتجمد هكـــذا فان مصير العرب كله مهدد بكارثة لا يستطيع أحد أن يحيط بحجمها •

المسئولية وتحديد المواقف

يقول الشيخ جابر الأحمد : اننا لا نريد أن نسبـــق الحوادث قبل أن تتضح النتائج فى اجتماع الكويت ، ولكننا سنقف على حافة الهاوية ، اذا تكررت تجربة الاجتماعات السابقة ، والتعليمات صريحة ومحددة لوفد الـــكويت فى هذا الاجتماع ، سنلتزم التزاما كاملا بتنفيذ ما نتفق عليه مع أشقائنا داخل خطة عربية ، وبدون أية تحفظات ، ولذلك فاننا نلح أن يكون هذا الاجتماع وما يتوصـــل اليه علـــى مستوى الاخطار ، وأن تحدد فيـــــه المواقف العربيـــــة والمسئولية بكل وضوح ، وانه فى سبيل الهدف القـــومى ومستقبل الشعب العربى لا يهمنا سوى الاتفاق العـــربى والوصول الى تخطيط محدد لهدف محدد فى أى تجمع عربى يكون فى الكويت أو فى خارج الكويت •• اننى أؤكد على ذلك حتى لا يتصور أحد أن مجرد انعقاد هذا الاجتماع فى الكويت سيكون دعاية للكويت وما قيمة أى دعاية لأى بلد عربى لا تزال تجثم على صدره الهزيمة والاحتلال •

ثم قال رئيس وزراء الكويت : يجب علينا جميعا أن نحذر من وقوع شىء هام فى مجال تحركنا السياسى ، وهو أن أصدقاءنا سينصرفون عن قضيتنا بعد أن وقفوا موقف التأييد لحقنا ثم طال بهم الانتظار ولم يجدوا من أصحاب الحق سوى الحيرة والتخاذل والجمـــود ، فمتى نتحـــرك وتغيير الظروف الدولية يفرض علينا أن نحسم صراعنا مع عدونا مهما كان حجم التضحيات •



الايمان والعمل

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

اخرج ابن ابى شيبة عن الحسن موقوفا :

« ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله تعالى : وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل » .

واخرج البخارى فى تاريخه عن انس مرفوعا :

« ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب ، فاما علم القلب فالعلم النافع وعلم اللسان حجة على بنى آدم » .

الايمان هو التصديق بما علم من الدين بالضرورة تصديقا يستقر فى القلب ، وتظهر آثاره على الجوارح ، والذى يتصف بالايمان حقا يوقن بمعرفة الله تعالى ايقانا لا يقبل الشك ، فيتحلى بمكارم الأخلاق ، ويظهر اثر ذلك فى تهذيب النفس ، واستقامة العمل ، فلا يجديه نفعا ان يقول : إنى مؤمن وهو خبيث الخبرء ، اسد الطوية ، كريه الأداء ، والحديث الشريف يدعو الى العمل وينهى عن التواكل والاغترار بالأمانى الزائفة التى لا تحقق شيئا نافعا ، وكثيرا ما يهلك الانسان شيطانه حيث يخيل اليه السراب ماء وظل السحاب واقيا من حمارة القيظ فيدع الحقائق الواقعة الى وادى الأمانى الزائفة ، وتمضى الأيام دون ان يحصل على طلبته او يحقق رغبته ، والاسلام يعتمد فى توجيهاته السامية على العمل المثمر ، فمن زعم انه محسن الظن بالله فان شرع فى تحقيق الصلة الروحية القوية الدافعة الى الجد والمثابرة على فعل الخير كان احسان ظنه معينا له على الدوام والثبات وجنى اطيب الثمرات ، واما من تواكل ولاذ باسباب الخمول فان احسان ظنه بالله فى هذه الحالة خيال او خبال ((بالمثناة التحتية فى الأولى والموحدة فى الثانية)) .. ومظهر الايمان الجاد يتجلى فى اداء وصايا الله لعباده والبعد عن كل ما ينافيها ، وقد وضح القرآن الكريم تلك الوصايا وسردها احيانا مجتمعة واحيانا اخرى متفرقة ، كما وردت تلك الوصايا فى الكتب السماوية التى سبقت الكتاب العزيز ، اذ هى تجمع اصول ما حرم الله على عباده فى الأقوال والأعمال كما تشمل ما يقابلها من اصول الخير والفضائل ، وقد وردت متفرقة

فى كثير من سور القرآن الكريم فورد بعضها فى سورة البقرة وسورة النساء وسورة النحل ، كما ورد لبعضها تفصيل فى سورة الاسراء ، ولكنها جمعت كاملة فى سورة الانعـــام حيث قال الله تبارك وتعالى ((قل تعـــالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، ان لا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتـــلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا آلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قـــربى ، وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)) .

هذه هى الوصـــايا العشر كما وردت فى سورة الانعـــام ولكى يستطيع المسلمون الالمام بها وادراك مراميها التى تثبت أركان الخير فى الأرض وتنشر السلام وتحسن العقبى فى الآخرة نفسرها فى ايجاز ، ففى تفسيرها زيادة على ما سبق توضيح الطريق للسالك المؤمن الذى لم تغره الأمانى الكاذبة ، وانمـــا تزود بالعمل بعد أن أدرك النتائج الطيبة لاحسان ظنه بالله فاحسن العمل فنقول والله ولى التوفيق .

((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم)) امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لعباد الله جميعا : اقبلوا على أبين لكم ما حرم ربكم عليكم فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم وأنا مبلغ عنه باذنه فاسمعوا عنى هذه الوصايا وتمســـكوا بما جاء فيها :

الوصية الأولى : ((أن لا تشركوا بى شيئا)) نهى عن الاشراك بالله لأن الشرك هو الكفر وهو أشد المحـــرمات افساداً للعقـــل ، وهو طمس للفطرة السليمة ، فكل ما عدا الله سبحانه مخلوق لله وعبد له ((ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا)) فاعبدوه وحده بما شرعه على السنة رســـله لا حسب أهوائكم ولا اهواء احد من الخلق امثالكم .

الوصية الثانية : ((وبالوالدين احسانا)) واحسنوا للوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخروا فيه وسعـــا ولا تالوا فيه جهداً ، وهـــذا نهى عن الاساءة مهما صغرت ، وقد ورد فى سورة الاسراء قوله تعالى : ((ولا تقل لهما اف)) وفى سورة لقمان ((أن اشـــكر لى ولوالديك)) وروى البخـــارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال : سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل ؟ ((قال : الصـــلاة على وقتها ، قلت : ثم : اى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم اى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله)) فقدم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله الذى هو أكبر الحقوق العامة على الانسان ، لأن حقوق الوالدين على ولدهما اعظم واجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه ، وعاطفة البنوة من اقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر الوالدين والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيعا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لأحد .

والوصية الثالثة : ((ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم)) فلا يجوز بحال ولا يحل ابدا ان تقتلوا أولادكم من الفقر الواقع بكم فعلا اى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية اخرى وردت فى سورة الاسراء نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر المتوقع اى غير الحاصل فعلا ، وانما يخاف حصوله لكثرة الأولاد قال تعالى : ((ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)) وقدم هنا رزق الأولاد على رزق الآباء عكس آية الأنعام ، فلا يباح باى حال الإقدام على هـــذا

الفعل الشائن لأن الله سبحانه هو الذى يرزق العباد ويضمن لهم ذلك فى صريح القرآن الكريم : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض إنه لحق مثلما انكم تنطقون » « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » ولكن يجب السعى والكسب والجد فى الحياة ليحصل الرزق ، ويتحقق ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وحثت الآيات والأحاديث الشريفة على وجوب العمل لكسب القوت والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الاسلام بالكسالى والاتكاليين ولا يقر أبدا السؤال فاليد العليا خير من اليد السفلى دائما ، وخيرات الأرض تكفى أهلها مهما تكاثروا فالذى خلق الأرض قدر فيها اقواتها وهو الحكيم العليم .

الوصية الرابعة : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، وما يرتكب الفاحشة الا البعيد عن معرفة الله تعالى وعن المعقول ، والفواحش التى يقترفها الجاهلون منها : الزنا واللواط وقذف المحصنين والمحصنات ، وكثير من الناس من يرتكب بعض الفواحش معلنا بها ، ومنهم من يأتيها سرا بعيدا عن رقابة الناس ، اخرج ابن ابى حاتم عن ابى حازم انه سمع مولاه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مسألة الناس من الفواحش » وعن عمر بن حصين فيما اخرجه ابن ابى حاتم ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ارأيتم الزانى والسارق وشارب الخمر ، ما تقولون فيهم ؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال : هن فواحش وفيهن عقوبة » وعن عكرمة قال : « ما ظهر منها ظلم الناس وما بطن الزنا والسرقة » لأن الناس يفعلونها فى الخفاء وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا احد اغير من الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » وفى سورة الأعراف : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

الوصية الخامسة : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » نهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها بالاسلام او بالعهد او بالاستئمان ، روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة . وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » وفى قول الله تعالى : « الا بالحق » اشارة الى ما يباح به قتل النفس شرعا ففى الحديث الشريف : « لا يحل دم أمرىء مسلم الا بأمور ثلاثة : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » الاشارة الى الوصايا الخمس التى مرت وتليت فى الآية الكريمة ، والوصية معناها : ما يعهد الى الانسان عمله من خير او ما يطلب اليه تركه من شر مع اقتران ذلك بما يرجى له من أثر ، والمعنى : انما وصاكم الله بذلك لما فيه من الخير العميم والمنفعة المؤكدة ، وكل هذا مما تدركه العقول الناضجة ، وفى قوله تعالى : « لعلكم تعقلون » تعريض بان ما هم عليه من الشرك وما بعده أشياء لا يقرها العقل السليم ، وليست فيها أدنى مصلحة ظاهرة للعاقل المفكر المتدبر ، فعسى ان تعقلوا ما فيه الفائدة وهو ما ارشدنا اليه رب العالمين ، فتسيروا على نهجه القويم ، وتسلكوا طريقه المستقيم .

الوصية السادسة : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ

أشده » اى ان مما يتلى عليكم من الوصايا التى وصاكم الله بها هو الا لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاه أمره او إذا تعاملتم معه الا بافضل ما يوصل اليه الخير من حفظ ماله وتنميته المحققة من وجوه الحلال ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » أبلغ فى النهى من النهى عن الفعل نفسه لأن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الاسباب والوسائل التى تؤدى الى الفعل وتوقع فيه ، وبلوغ الاشد معناه : بلوغ سن الرشد والقوة ، وقال صاحب لسان العرب : « الأشد معناه مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة » وأورد ابن منظور المصرى(1) عن الأزهرى أنه قال : « ورد الأشد فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة معان يقرب اختلافها : فاما قوله فى قصة يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده : فمعناه الادراك والبلوغ وحينئذ راودته امراة العزيز عن نفسه ، وكذلك قوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده ، قال الزجاج : معناه احفظوا عليه ماله حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله ، قال وبلوغه أشده أن يؤنس منه الرشد مع ان يكون بالغا ، وقال بعضهم حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ، قال أبو اسحق : لست أعرف ما وجه ذلك لأنه اذا أدرك قبل ثمانى عشرة سنة ، وقد أونس منه الرشد فطلب دفع ماله اليه وجب له ذلك ، قال الأزهرى ، وهذا صحيح وهو قول الشافعى وقول أكثر أهل العلم .. الخ وأما قوله تعالى فى قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه : « ولما بلغ أشده واستوى » فانه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهى شبابه ، وأما قول الله تعالى فى سورة الأحقاف : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة » فهو أقصى بلوغ الأشد وعند تمامها بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك ، وقد اشترط الشارع الحكيم لايتاء اليتامى اموالهم بلوغهم سن الحكم والرشد معا وظهور رشدهم فى المعاملات المالية بالاختبار والتجربة قال تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبرز بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات المالية واجادة التصرف فى تقليب المال واستثماره .

الوصية السابعة : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » امر باتمام الكيل فى حالتى الأخذ والعطاء ، وايفاء الميزان لأنفسكم فيما تشترون ، أو لغيركم فيما تبيعون ، وقد ذم الله سبحانه المطففين فى سورة سماها باسمهم وتوعدهم فيها بالعذاب الشديد على فعلهم فقال تبارك وتعالى : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » وأوضحت الآيات انهم بعيدون عن الايمان بيوم البعث والحساب « أ لا يظن اولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » ولما كانت اقامة القسط تاما امرا دقيقا جدا لا يمكن تحقيقه فى كل مكيل او موزون تمام التحقيق قال سبحانه : « لا نكلف نفسا الا وسعها » اى انه تعالى لا يلزم انسانا الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج ، فالمراد — : ان يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد أنه لم يظلم فيهما بزيادة او نقص يعتد به شرعا وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب عليه السلام وبعدهم عن العدل فى ميزان او كيل فحكى عن نبيهم قوله : « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين » وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : « انكم

ولينم امرأ هلكت فيه الأمم السالفه قبلكم » ويكفى فى شدة الزجر عن التطفيف فى كيل او ميزان ان الله تبارك وتعالى سماه عتوا فى الارض وفسادا .

الوصية الثامنة : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » أمر بالعـــدل فى الأقوال حين الشهادة أو القضاء ولو كان المشهود له او عليه ، وكذلك المتقاضى عنده قريبا قرابه لحم ودم او نفس وروح ، فالعدل فى الاقـــوال لازم وواجب كالعدل فى الافعال ، وقد وضح الله سبحانه ذلك فى سورة النساء حيث يقول تبارك وتعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » وتشدد الله فى ذلك اى فى العدل حين الشهادة والقضاء مهما كانت الصله بالمشهود له أو عليه ، وكذلك المتقاضى لأن العدل قوام الحياة حياة الأمم ، فلا يجوز ان تحكمنا الصلات فتحملنا على الظلم او الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد او ظلم فالله سيحاسبه فهو جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فلا تخفى عليه خافيـــة .

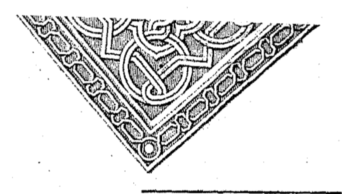
الوصية التاسعة : « وبعهد الله اوفوا » وهو ينتظم ما عهد الله تعالى الى خلقه على السنة انبيائه ورسله ، وما يعاهد الناس بعضهم بعضا عليه مما يوافق الشرع ، وقد ورد لفظ العهد فى القرآن كثيرا مشيرا الى ذلك قال تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم » وقال سبحانه : « الم أعهد اليكم يا بنى آدم » وقال ايضـــا : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال عز اسمه : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » وقال : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وعد الرسول صـــلى الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فقد روى البخارى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » نعوذ بالله من النفاق وأهله « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » اى أن ما سمعتموه مما تلوته عليكم هو ما وصاكم الله به فلعلكم تذكرون ما فيه من الصـــلاح لكم يحملكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضـــــا وهذا من التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وعد الله تعالى التذكر للخير والعمل به من دلائل الانابة اليه والرجوع الى اوامره وخشيته وخوف عذابه قال سبحانه : « وما يتذكر الا من ينيب » وقال جل وعلا : « سيذكر من يخشى » .

الوصية العاشرة : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وهذا بيان لما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدين والشرع القويم وانه سبيل الله الذى يوصل الى رضائه سبحانه كما يوصل الى نيل السعادة التامة فى الدنيا والآخرة ، والصراط المستقيم هو شرع الله ، أخرج احمد والنسائى والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « خط رسول الله خطا بيده » ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : « وهذه السبل ليس فيها

سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه » ثم قرأ : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « ولا تتبعوا السبل » قوله : « أمـر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، واخبرهم انه إنما اهلك من كان قبلهم . المراء والخصومات » .. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهمايكن نوعه فالأمر باتباع الصراط المستقيم والنهى عن سبيل الغي والضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقي ويردى في الدنيا والآخرة ، وما يوصل الى السعادة التامة فيهما ، وقد وردت آثار كثيرة بشأن تلك الوصايا منها ماأخرجه الترمذي وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من سره أن ينظر الى وصايا محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » الى قوله تعالى : « ذلكم وصاكم ربكم لعلكم تتقون » .

والخلاصـــة :

ان الايمان الصحيح ليس بالتمنى ، ولكن بالعمل وتنفيذ أوامر الله واتباع وصاياه كما وردت في محكم كتابه وعلى لسان خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، والايمـان المستقر في القلب لا بـد وان تبدو آثاره الطيبة على فعـل الجوارح ، وأما قول اللسان دون عمل فهذا مما جاء فيه قول العـلى الكبير : « كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » وهو حجة على ابن آدم يوم القيـامة ومما يؤيد ذلك قول الله تبارك وتعالى : « ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » نعوذ بالله تعالى من قول بلا عمل ونسأله جلت قدرته ان يوفقنا لتنفيذ وصاياه والعمل بما اوحاه الى سيد المرسلين ان ربي سميع الدعاء .



حاشية : عن الحافظ ابن كثير في كتابه (الباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث ص ٣٤ ، ٣٥)
الحديث الموقوف : مطلقـه يختص بالصحابي ولا يستعمل فيمن دونه الا مقيدا وقد يكون اسـناده متصـلا وغير متصل .

الحديث المرفوع : هو ما أضيف الى النبي صـلى الله عليه وسلم قـولا أو فعـلا عنه سواء كان متصـلا أم منقطعا أم مرسلا .

(١) الأشد بفتح الهمزة وضم الشين ـ لسان العرب ص « ٢٨٣ » جـ ٢ طبع دار لسـان العرب ببيروت ـ لبنـان .



للدكتور محمد جمال الدين الفندى

اصل الكون :

لا يعطينا العلم بكافة فروعه جوابا شافيا ولا معنى واضحا ترضى بـــه العقول او تطمئن اليه النفوس عن اصل الوجود ، كما أنه لا يتعرض قط لموضوع علة وجودنا وسبب مجيئنا ، وعما اذا كانت لنا رسالة خاصة على الارض . وما دام هناك وجود لنا ووجود لما حولنا فمن العبث ان ندعى ان العدم هو الاساس الطبيعى ، ولكن من المنطق أن نسلم بحقيقة (الموجود) الأزلى الذى هو علة كل شىء ، والذى شهد نشوء كل شىء . والذى يعطى هذا المعنى هو الدين ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى عدة آيات مثل قوله تعالى فى سورة فصلت الآية (٥٣) : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) .

وهناك ثلاث طرق فقط عالج بها بعض العلماء اخيرا اصل الوجود . والحقيقة أن هناك طريقتين لا ثالث لهما ، وذلك نظرا لأن الطريقة الثالثة هى فى الواقع مجرد تحايل غير منطقى ، فحواه اننا قد نستطيع القول بأن الكون على حالتـــه الراهنة انما نشأ عن سلسلة من حالات اخرى سابقة ، واننا نستطيـــع ترتيب الخطوات السابقة التى مر بها الكون فى تتابع منتظم حتى نصـــل الى مرحلـــة الصفر على غرار الصفر فى الاعداد . وتعتمد الطريقة العلمية الاولى على مجرد الحظ او الصدفة ، وهى تقول انه قد يحدث بالصدفة أن يمر الكون عبر سلسلة من مراحل النشوء والتطور ، تماما كما يمر عقرب الساعة أمام أرقام الميناء . ويعنى ذلك وجود دورة من حالات التطور تتكرر على الدوام ، أى أنه ليس هناك ابتداء أو انتهاء ، وانما يتحرك الكون ليبدأ تطوره من حيث انتهى . ونحن حـــتى

اذا سلمنا بهذا جدلا فمن اين اتت مادة الأصل ؟ الحقيقة ان العلم انما يبدأ دائما من مرحلة معينة يفترض فيها وجود الاشياء من غير التعرض لأمـر مـوجودها ومنظم خط سيرها وواضع طريقة تطورها . . .

وتقرر الطريقة الثانية من غير اساس علمي قويم او منطق سليم ان الكون كان هكذا على الدوام ، وسوف يظل على ما هو عليه الى الأبد ، بحيث لا يوجد ابتداء ولا معنى للانتهاء .

ومن اللازم ان نلاحظ ان هذه النظريات ، شانها كشان اية نظرية علميـة اخرى ، تبدأ كما قلنـا بفروض ، او مسلمات تسمى احيانا بديهيـات ، مثـل التسليم بظهور مادة الأصل تلقائيا او قيام النظم والقوانين الكونية الثابتة تلقائيا كذلك ، فاذا ما سلمنا بقيام نظام بالصدفة عبر الزمان الطويل فهـل تستطيـع الصدفة وحدها أن تقوم على تثبيت ذلك النظام عبر الزمان وتعميمه عبر المكان ؟ ! إن حساب الاحتمال الرياضى لا يعرف مثل هذا الكلام .

وقبل أن نعلق على هاتين النظريتين نؤكد بأن المألوف هو أن لكل شىء موجودا اوصانعا . فاذا قلنا إن للكون موجدا انما نساير الحقيقة المشاهدة ونسـلم بداهة فى نفس الوقت بأن هذا الخالق الموجود تختلف صفاته عن صفات المخلوق، فاذا كان للكون موجود فليس للموجود موجد . . . وهلمجرا نستطيع أن نتبين أن للموجود من الأسماء أو الصفات ما يجعلنا نسميه كما سمى نفسه فى القـرآن : الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الخالق ، البارى ، المصور ، .. الوهـاب ، الرزاق . .

وطبيعى أن هذا الحل العلمى الذى ينادى به الدين هو افضل واسلم واصح من افتراض وجود مادة فى الاصل وقيام نظم لا خالق لها ولا مبدع علـى غيـر المألوف .

وان ابعاد الكون المرصود قد امتدت فى ظل الفلك الراديوى الى حدود نحو ٢٠ الف مليون سنة ضوئية ، وهذا الرقم هو مجرد كسر صغير بالنسبـة الـى الأبعاد التى يفترضها العلماء للكون الذى يستغرق تطوره فترة من الزمن سحيقة وتقدر بعشرات آلاف ملايين السنين بحيث تكاد تكون لا نهائية بالنسبة الى عمـر الانسان وحضاراته على الارض . ولهذا تبذل الجهود المضنية من أجـل التغلب على هاتين الحقيقتين الداخلتين فى صميم الدراسات الكونية بالأستعانة بالعلوم الأخرى ، حيث أن قوانين الطبيعة التى اكتشفت على الارض يجرى تطبيقها فـى السموات ، كما أن النظم المختلفة لما نراه فى العلم المبنى على مسلمات يمكن أن تعطينا انواعا متباينة من الأكوان والقوانين التى تحكمها . ويمكن لعالم الرياضة البحتة ان يبنى كل نماذج الأكوان الممكنة معتمدا فى ذلك على مجموعات القوانين الطبيعية ، مثل الديناميكا الحرارية ، والنسبية العامة ، تماما كما يبنى عـالم الهندسة كل انواع الهندسات الممكنة (هندسة اقليدس ، هندسة ريمان . . .) كل ذلك بصرف النظر عن الهندسة الفعلية للفضاء الذى من حولنا .

وهكذا يصبح تشييد نماذج الأكوان فرعا من فروع الرياضة البحتـة ، اما مسألة التعرف على احد هذه النماذج والأستدلال على انه كوننا بالذات فتـلك

مسألة اخرى ليس من اليسير الخوض فيهـــا أو التعرض لها هنا . ويتساءل العلماء قائلين : لماذا يوجد كون واحد فقط ؟ وهل هذا الانفراد مجرد صدفة أو هو ضرورة ؟ اننا ليس لدينا ما يثبت عمليا وعلميا وجود كون آخر غير هذا الذى نراه من حولنا . وقد امتدت ابعاده من عدة مئات آلاف السنين الضوئية الى عدة آلاف الملايين بتقدم آلاف الرصد الفلكى مصداقا لقوله تعالى فى سورة الذاريات الآية (٤٧) : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » وربما يكون المعنى كذلك اننا موسرون (أى لدينا المزيد رغم اتساع الكون) . ان الكون يتمدد بالفعل ويزداد حجمه كما نادت بذلك النظرية النسبية . على اية حال الكون واحد فقط ، وهـــو لا يمكن أن يكون لا نهائى الأبعاد كذلك ، والا لاشتعلت كل أركان السماء بالضوء ليلا ، ولما ظهرت تلك الاجزاء المظلمة بين النجوم ولامتلاء السماء كلها بالنجـــوم المتناثرة الى مالانهاية فى أى اتجاه ، كما تصبح الجاذبية لانهائية القدر كـــذلك ، وهو أمر غير مشاهد . ولهذا كان من اللازم افتراض أن شكل الفضـــــاءالكونى على أعظم مقياس له تماما كما يبدو لنا على اصغر مقاييسه على الارض ، أى أنه ينحنى على نفسه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الملك الآية (٣) : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

ووحدانية الكون دليل آخر على وحدانية الخالق كما أن شمول النظام وثبوته الذى جعل من الممكن استخدام العلم وتطبيقه ، هو فى حد ذاته خير برهان علمى قاطع على وحدانية الخالق جل وعلا . واننا لنجد نفس المعانى والنتائج عندمـــا ننتقل الى عالم الحياة .

ان كلمة حياة من اصعب التعبيرات أو الكلمات تعريفا من الوجهة العلمية .بل لقد ذهب فريق من العلماء الى أن كلمة (حياة) غير قابلة للتعريف العلمى الدقيق الشامل للأسف الشديد . ولو اننا نظرنا الى كل صفة من صفات المادة الحية ـــ مثل صفة الحركة ، أو التوالد ، أو التغذية أو النمو . . لوجدنا ان هناك حـــالات تسمى فيها الاشياء (حية) ولكنها لا تتوفر لها معظم هذه الصفات . ومن امثلـــة ذلك بعض الطفيليات . وهناك حالات أخرى تسمى فيها الاشياء ميتة ومـــع ذلك نجد لها بعض تلك الصفات ، مثل ظاهرة النمو فى البلورات .

وقد ورد فى بعض التعريفات الدقيقة الحديثة لبعض العلماء أن المادة (الحية) هى كل وحدة نظامية مميزة بثبات ديناميكى ، وقادرة على حفظ كيانها بنفسها ، وعلى امتصاص الطاقةمن اى نظام قائم حولها ، وعلى تثبيت بقائها بواسطة التوالد أو الانقسام والموت . . كل ذلك بالاضافة الى ان الوقت الذى يمتاز به قيام تلك الوحدة (الحية) يجب ان يكون أطول من الوقت الذى يمكن ان تستغرقه اية عملية من العمليات المميزة لها . وعلى الرغم من هذا التعقيد الفنى فى تعريف (الحياة)هناك اشياء كونية عديدة يمكن ان تدخل بسهولة تحت طائل هذا التعريف ، ومن امثلة ذلك السدم والكواكب والســـحب . . فمن المعروف ان كل ما فى الكون من الوان المادة وانواعها المختلفة انما يتحرك أو يســـبح ، ابتداء من الذرات ومركباتها الى المجرات ووحدتها . وهى تمتص

الطاقات ، وقد تنقسم ، وتنمو .. فهل هى حية .. ؟ وليس منا من يجهل ان الكهارب التى تجرى من حول النوى داخل الذرات ، وأن الكواكب السيارة تسبح من حول الشموس فى المجرات ، وان هذه الأخيرة تنطلق عبر خضم الفضاء الفسيح بسرعات متزايدة الى مصير غير معلوم ، فهل هذه جميعها تتوفر لها صفات الحياة كلها او بعضها .

ومما يزيد من حرج مركز هذا التعريف — أو اى تعريف آخر مماثل — وجود تلك المواد الدقيقة المعروفة التى تقف على الحدود الفاصلة بين ما قد نسميه (حيا) وما قد نسميه (ميتا) وتلك هى الفيروسات .

فالفيروسات عبارة عن مواد كيميائية — يمكن تحضير اغلبها فى المعمل — ولا يمكن أن توصف بالحياة حسب معناها المعروف ، اذ انها تمتاز بخواص التكوين الذاتى فى البيئة الملائمة ، وبالنمو والتكاثر ، ولكنها صغيرة جدا ، (اصغر من اى كائن حى عادى) . ويكاد تركيبها لا يمت بصلة للتركيب الاساسى للخلية الحية .

اما الجسم الحى الذى تتعدد فيه الاعضاء وتتباين ، فهو مرحلة متقدمة من تطور الوحدات (الحية) تتعاون فيها تلك الاعضاء على القيام بمظاهر (الحياة) المختلفة من تنفس وتناسل وحركة وتغذية .. ويظل الجسم حيا ما دامت تلك الاعضاء او على الأقل الرئيسية منها ، تقوم بأداء وظائفها . هذا ملخص تعريف الحياة والجسم الحى . أما (الروح) فهى الجوهر الذى يمتاز بالوعى والارادة والفكر .. الى غير ذلك من الصفات التى دونها صفات المادة الحية التى تعمل آليا او بالغريزة .. وتسكن الأرواح الاجسام الحية . والمعروف انها تدخل جسم الجنين عندما يبلغ شهره الرابع ، وتظل تسكن الجسم الحى وتتدرج معه بالنمو على النحو المعروف ولا تهجره أو تغادره نهائيا الا اذا مات .

ومعنى ذلك ان الجسم الحى كالبيت الذى يسكنه الناس والروح هنا بمثابة السكان ، والجسد بمثابة الجدران . ويعالج علم الحياة « البيولوجى » كما يعالج علم الطب ، موضوع مقومات الحياة وتركيب الجسم ، وما يصيبه من علل وما قد يطرأ عليه من أمراض تؤدى الى الوفاة ، وكل تلك المجالات عبارة عن دراسات علمية تدخل فى نطاق العلم .

السموات :

كان من الطبيعى أن يشير القرآن الكريم فى سياق حديثه عن الكون — كتاب الله المنظور — الى المجرات النائية التى يعج بها الفضاء ، والتى تضم كل واحدة منها آلاف ملايين النجوم أو الشموس ، فقال مثلا فى سورة الواقعة الآيتان (٧٥) ، (٧٦) : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

فمواقع النجوم شىء جدير بأن يقسم به الخالق ، وهى تكاد تفوق حدود الوصف والخيال ، كما أنها آخذة فى التزايد لان المجرات تتباعد بسرعات رهيبة .

ومنذ سنوات ولد فرع جديد من فروع علم الفلك عرفنا بأجرام سماوية غامضة تسمى (اشباه النجوم) أو (الكوازار) ، وهى فى الواقع مجرات عظمى تبدو لعظم بعدها عنا كأنها نقط مضيئة وسط خضم الفضاء المترامى الاطراف مثل (كوازار ٣ ـ ك ٩) . ولكن الله تعالى يقول فى سورة يونس الآية (١٠١) : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ويقول فى سورة الاعراف الآية (١٨٥) : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وعلينا اذا بأمر من ديننا ان نرصد تلك العوالم النسائية التى تتكون منها السموات لندرك عظمة الخالق ونلمس قدرته التى لا حدود لها . .

وترسل ، او فى معنى اصح ، ارسلت تلك العوالم طاقات موزعة بانتظام خلال الكون ، نتعرف عليها بفرع الفلك الجديد المسمى الفلك الراديوى .

اقطار السموات والارض :

يظن كثير من الناس خطأ ـ وقد كنت منهم ـ أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ ـ ٣٥) : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » من دلائل انطلاق الانسان عبر الفضاء ، ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى اقطار تماما نجد أن المعنى اشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر من الآية (٣٥) .

اما النفاذ من اقطار الارض فما من شك ان معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة .. وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للارض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر .. أما اختراق اقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر الوان الغبار الكونى وأحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى اشد احراقا وفتكا من براكين الارض .. !!

اما الوصول الى القمر او المريخ او الزهرة فليس معناه النفاذ من اقطار السموات بحال من الاحوال ، وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وأن أقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف ملايين السنين الضوئية .. !

ولكن فى آية اخرى يقول الله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » سورة الشورى الآية (٢٩) . وهى تشير الى وجود احياء بين ارجاء السماء أما الجمع فقد يكون على متن أمواج الاثير .

الغلاف الهوائى اول السموات :

نحن وجميع من معنا من الكائنات التى على الارض كركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى . ولكن هذه السفينة تخدعنا كما خدعت آباءنا من

قبل ، لأنها تبدو لنا كأنها واقفة فى الفضاء أو ساكنة لا تتحرك ولا تدور ، بينما يتحـــرك كل شيء من حولها أو يدور بما فى ذلك القمر والشــــمس والنجوم والشهب والمذنبات ونحوها .

أما الحقيقة الواقعة فهى أن أرضـــنا تلف هى وسقفها كالنحلة وتجرى كالقطار وتتمايل كالسفينة وتترنح وتهتز كالطـــائرة . وتنجم عن هذه الحركات كلها عدة ظواهر منها : تعاقب الليل والنهـــار ، وتتابع الفصول ، وتزحزح الاعتدالين ، ونحوها كما تتغير مقادير الطاقة الشمسية التى تصل الى كل بقعة من الارض فتزداد أو تتناقص وبذلك يتكون الهواء الساخن أو البارد وتختلف ضغوط الجو فيتحرك على هيئة دورة كبرى للرياح .

ولقد احتفظت الارض بفضل قوة جذبها الكبيرة وأمسكت بغلافها الجوى أو سقفها ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضــــاء المترامى الاطراف كما تسرب غلاف القمر الجوى حتى صار القمر جرما ميتا خاليا من الهواء والمـــاء وذلك لأن من خصائص الغازات كالهواء أنها تنتشر لتملأ الفراغ المعرض لها .

ولو أن مهندسا صمم سقف سفينة الفضاء لجعل لذلك الســـــقف فوائد محدودة أو آيات معدودة ولكن الذى صمم سقف الارض وحفظه جعل له من الفوائد أو الآيات ما يكاد لا يعد ولا يحصى فقال فى سورة الانبياء الآية (٣٢) : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون » .

الغلاف الجوى اذا هو جانب أول السمـــوات ونحن نعيش فى جـــانب من السماء الاولى . وهو عبارة عن خليط غازى عديم الطعم واللون والرائحة بالاضافة الى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء أخف أو أقل كثافة من الهواء الجاف . وهذه وجدها آية من آيات الخالق لأنها مكنت الهواء من حمل البخار الى أعالى الجو حيث يبرد ويتكاثف الى سحب ومطر ، هو مصدر المياه العذبة على الارض ..

وأهم الغـــازات التى يتركب منهـــا الهواء هى الأزوت أو النيتروجين ونسبته ٧٨٪ من حيث الحجم والاوكسجين ونســـبته ٢١٪ من حيث الحجم وغازات أخرى نادرة نسبتها ١٪ فقط .

ولنسبة الأزوت العالية التى فى الجو آية ملخصها أنها تجعل اطفـــاء الحرائق أمرا ممكنا .. فلو أن نسبة الاوكسجين هى التى كانت ٧٨٪ لما أمكن اطفاء أى حريق يشتعل مثل حريق الغابات .

كما ان الأزوت الجوى تكون منه عواصف الرعد والبرق أحماضا أزوتية تذوب فى ماء المطـــر ، وتخصب الارض ، وتجعلهـــا على التدريج صـــالحة للزراعة . وهكذا كان يتم اخصاب الارض بالطبيعة من قبل أن يعرف النـــاس السماد الصناعى .

والمطر يغسل الهواء وينقيه من الشوائب والأتربة والجراثيم — أنظر كيف نستمتع بالجو فى أعقاب المطر . وحتى فى الشـــتاء يحدث الدفء بعد نزول المطر لانطلاق الحرارة الكامنة من البخار الذى تحول الى مطر ، وهى الحرارة

التى اكتسبها ماء البحر فى الاصل من الشمس لكى يتحول الى بخـار يحمله الهواء ..

ومن أظهر فوائد الغلاف الجوى انه يحتوى على الاوكسيجين الـذى تستنشقه الكائنات الحية فيدخل مع هواء الشهيق ليجدد نقـاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل .

وكلما ارتفعنا فى السماء كلما قلت مقادير الهواء وقل تبعا لذلك الاوكسيجين الجوى . فاذا كان الاوكسيجين الجوى عند السطح هو ٢٠٠ وحدة ضغط فانه يعتبر على ارتفاع ١٠ كيلو مترات ٤٠ وحدة فقط ، ويعتبر على ارتفاع ٢٠ كيلو مترا ١٠ وحدات فقط . وعلى بعد ٣٠ كيلو مترا وحدتين فقط . وهكذا أى ان الانسان يمكن أن يختنق تماما اذا ما ارتفع فوق ١٠ كيلو مترات ولم يكن محميا داخل غرفة مكيفة .

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق كلها ــ أى الاوكسيجين الجوى وتناقصه بالارتفاع فوق سطح الارض بحيث تصبح مقادير الاوكسيجين التى تدخل الصدر غير كافية أو يضيق الصدر تبعا لذلك ــ فيقول تعالى فى سورة الأنعام الآية (١٢٥) : « .. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصـعد فى السماء » .

ولو ان الكائنات الحية تركبت منذ القدم تستنشق الاوكسيجين الجـوى وتخرجه مع هواء الزفير على هيئة غاز ثانى أوكسيد الكربون الخانق من غير عملية عكسية لنفد الاوكسيجين الجوى بمضى الوقت واختنقت سائر المخلوقات على الارض .

ولكن الخالق القدير الذى اسكننا الارض جعل مملكة النبات تقوم بالعملية المضادة فى ضوء الشمس بما يعرف باسم التمثيل الكلوروفيلى . ومضمونه ان النباتات تأخذ ثانى أكسيد الكربون من الجو ، وفى ضوء الشمس تحللـه الى أوكسيجين خالص يخرج الى الهواء من جديد والى كربون أو فحم تختزنه . هذا الكربون أو الفحم يستخدمه النبات فى بناء انسجته وعمل السكر والنشا والزيوت والخشب وغيرها ... وتلك ولا شك آية من آيات الخالق تتضمن قضية تنقيـة الجو من ثانى أوكسيد الكربون أولا بأول واضافة الاوكسيجين الخالص اليه ثم صناعة المركبات العضوية النباتية التى هى أساس تغذية مملكة الحيوان بأسرها من الكربون المستخلص من ثانى أوكسيد الكربون الجوى . فلماذا يعرض الانسان عن التفكير فى هذه الحقائق ويعتبرها مجرد صدفة ! ان اغفال الحـواس هنا والاعراض عن تمجيد الخالق القدير معناه قتل الفكر الحر وقتل الضمير عـن عمد وهو أمر يستحق عليه الانسان العقاب .

والهواء كما قلنا يحمل بخار الماء . وعندما يصعد يبرد ولا يقوى على حمل هذا البخار فتتكاثف الابخرة الى نقط صغيرة من الماء أو بللورات الثلج تبعا لدرجة الحرارة السائدة .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الروم الآية (٤٨) :
((الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا)) .
ولكن ما الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر ؟ الامر بسيط ، ان السحابة التى تمطر يلزمها مدد مستمر من أبخرة المياه لكى تتكثف تلك الابخرة وتهطل على هيئة مطر أو برد أو ثلج .
وهذا المدد يتم بواسطة الرياح الصاعدة كذلك مصداقا لقوله تعالى فى سورة الحجر آية (٢٢) :
« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .
أى ان الرياح تلقح السحب وغيرها ببخار الماء لتجود بالماء العذب وان هذا الماء ليس مخزونا فى مكان معين ولكنه دورة مائية بين السماء والارض .
وقصة الماء العذب على سفينة الفضاء الكبرى وهى الارض معروفة لان أشعة الشمس تبخر بعض مياه البحار والمحيطات وتحولها الى أبخرة يحملهـا الهواء ويصعد بها فى السماء لتكون السحب والمطر الذى ينهمر لتعود الى البحر .
والمطر كما قلنا ينقى الهواء ويغسله من الشوائب والاتربة العالقة فيه ، وهو مصدر المياه العذبة التى هى أساس الحياة على الارض ، سواء كان ذلك الماء من الانهار أو الآبار أو العيون أو المطر المباشر .
ومن أهم آيات هواء الارض انه الوسط الذى يضىء بنور النهار . وعلى الرغم من ان امتداد الغلاف الجوى فوق سطح الارض هو نحو ألف كيلومتر ، الا ان الطبقة التى تضىء بضوء النهار هى قشرة رقيقة سمكها نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط عندما تواجه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس فى تلك الطبقة الكثيفة نسبيا من الهواء . واكثر الوان الطيف التى تتناثر هو اللون الازرق ولذلك تكتسب تلك القشرة اللون الازرق وهى القشرة التى تحدد معالمها القبـة السماوية الزرقاء .
فالقبة الزرقاء اذا مجرد ظاهرة ضوئية ومن نعم الله علينا أن جعـل من صفات التناثر انتشار أشعة الضوء المتناثر فى كل الاتجاهات . وعلى هذا النحو يمكن ان تنار البيوت بفتحات ونوافذ لا تواجه الشمس مباشرة ، اذ يمكن أن يدخل منها الضوء المتناثر فى كل اتجاه .
واذا ما صعدنا فى صاروخ فوق تلك القشرة المنيرة نجد ان الدنيا تظلم من جديد وتظهر نجوم السماء ، كما تكون الشمس بادية وبارزة ولكن تخز أشعتهـا الاجسام وخز الابر من غير ان تنير الفضاء الكونى المظلم الشديد الاظلام . وكلما دارت الارض حول محورها انسلخت القشرة المنيرة من الغلاف المظلم مصداقا لقوله تعالى فى سورة يس الآية (٣٧) :
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » .
ان النهار ينسلخ من الليل كما يسلخ جلد الشاة من جسدها .
ومن أعظم فوائد الغلاف الجوى أنه يحمينا من أهوال الفضاء ممثلة فى الاشعة الكونية الفتاكة تارة ، ثم فى الشهب والنيازك المدمرة تارة أخرى ، كمـا يحمينا من درجات الحرارة المنخفضة التى يتميز بها الفضاء الكونى حيث تصل درجة الحرارة حدود ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد . ومن أخطر الاشعة التـى يقينا شرها سقف الارض الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس ، وهى أشعة محرقة ولا يسمح غلاف الارض الجوى بان يصل منها الى سطح الارض الا جزء صغير جدا يفيد فى حمامات الشمس ويعالج كثيرا من الامراض مثل البرد

والكساح ونحوها . وخير الاماكن التى تؤخذ فيها حمامات الشمس سواحل البحار وأعالى الجبال حيث تقل الاتربة الجوية التى تحول دون وصول الاشعة فوق البنفسجية . والمعروف ان حمامات الشمس تكسب البشرة ذلك اللون البرنزى الجميل .

ولقد عبّد الغلاف الجوى سطح الارض بعوامل التعرية وجعله صالحا للعيش فوقه والسير عليه ، فالرياح والثلوج وأمواج البحر كلها نحتت الصخور النارية القديمة وهذبتها وحولت أجزاء عظمى منها الى طمى وغرين ورمل ومواد كونت التربة الزراعية . وما من شك أن هذه أكبر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض أهمية بالنسبة للحياة على الارض .

وحتى الكائنات المائية مثل الاسماك وغيرها أنما تستنشق أوكسيجين الجو المذاب فى الماء . مما يفسر لنا السر فى ضرورة تجديد ماء الاوانى والاحواض التى تحفظ فيها أسماك الزينة .

ان أكثر من ثلاثة آلاف بليون نسمة تعيش اليوم على الارض وهى تنعم بحماية سقفها وتستمتع بما يجود به من نعم بلا مقابل .

ان علم الارصاد الجوية يظهر لنا بجلاء كيف تعمل تيارات الهواء المختلفة الرأسية والأفقية وكيف تدأب دورة الرياح العامة على توزيع درجات الحرارة بالعدل والقسطاس بين أجزاء الارض المختلفة .

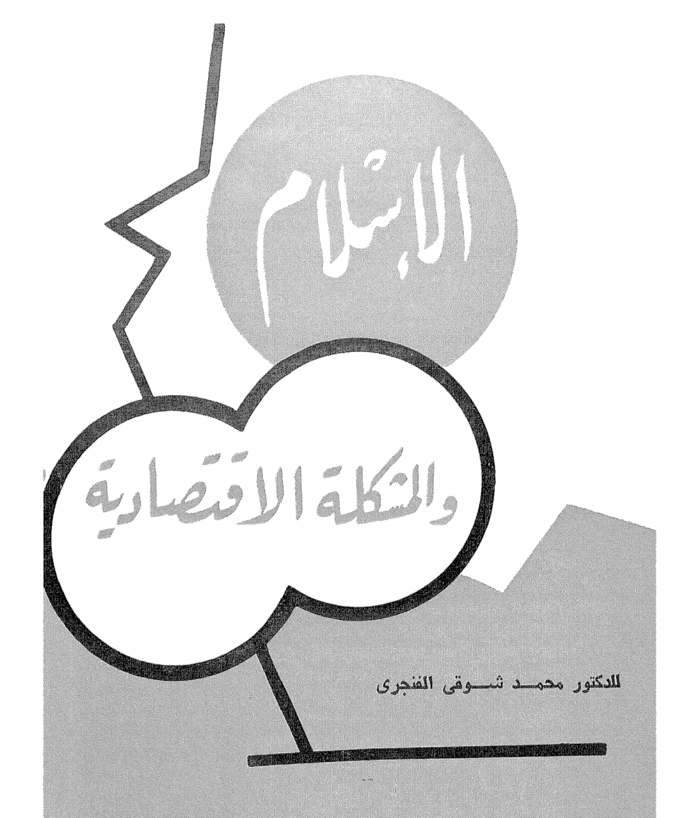
ان الهواء يحمل الحرارة من مناطق توفرها كالمداريات الى مناطق شحنها كالقطبين ، بينما تنقل تيارات الحمل بخار الماء وما فيه من حرارة كامنة اكتسبتها أسطح البحار من الشمس وتسير بها الى الجو العلوى ومناطق اثارة السحب لفائدة الانسان ونفعه . وليس علينا الا ان ندرس ونتمعن ونشكر :

« وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » البقرة الآية (١٦٤) .

وانت اذا ما جلست بعد منتصف الليل تراقب السماء ترى أكداسا من الشهب تهوى من الجو العلوى وتحترق فيه قبل أن تصل الارض ، وهى تحترق بسبب الحرارات العالية التى تتولد بالاحتكاك مع الهواء عندما تتحرك الشهب فيه بسرعة فائقة مثل ٢٠ أو أكثر من الاميال فى الثانية .

وتكون أتربة تلك الشهب المحترقة ما يعرف باسم نوى التكاثف أو المراكز التى يتم عليها تجمع بخار الماء العالق فى الجو على هيئة نقط ماء وثلج داخل السحب ، ولقد شوهد ان السنين التى تدخل فيها الارض عبر الوفير من مجارى الشهب فى الفضاء يعقبها مطر وفير وهطول غزير يروى الارض ويشملها بالخير والبركة .

وما من شك اننى لن استطيع حصر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض المحفوظ ، فهو الى جانب ما ذكرنا باختصار ، فيه تسرى الاصوات وهو بذلك يجعل لحاسة السمع معنى ووظيفة ، وهو الذى يخصب أكثر النباتات ، وفيه يحلق الطير ، وهو الذى يستغل فى أشعال وقود الآلات والمحركات . والرياح هى التى تدفع السفن الشراعية عبر البحار وتجفف الملابس والعرق .. ويعمل البرق فى عواصف الرعد على تكوين أكاسيد الأزوت التى تذوب فى ماء المطر مكونة نوعا من السماد الطبيعى الذى أخصب الارض منذ القدم قبل أن يعرف الانسان مواد السماد أو يصنعها .



المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وهى لا تتمثل كما يتصورها الاقتصاد التقليدى فى ظاهرة الجوع والحرمان ، وانما فى ظاهرة التفاوت الشديد فى توزيع الثروات والدخول .

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، فلم يهون من أمره شأن المذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه شأن المذاهب المادية والابيقورية وإنما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى .

وكان للاسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية يختلف عن تصور الاقتصاد الراسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى ، وبالتالى إختلفت المواقف .
ونبين ما تقدم ، فى ثلاثة مطالب متتالية :

المطلب الأول

ماهية المشكلة الاقتصادية

المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر

تتمثل أهم مظاهر الحياة وبالتالى أهم مشكلاتها فى سعى كل فرد أوكل جماعة فى توفير أسباب معيشتها ، وبالأخص اشباع حاجاتها المادية وهى (متعددة) بينما مالديها من موارد وأموال (محدودة) .

فالمشكلة الاقتصادية هى أهم مشكلات الحياة ، وهى بحسب الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة تعدد الحاجات وندرة الموارد .

وبعبارة مبسطة ، أن المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر الذى لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على الموارد .

مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها متأخرا

وهذه المشكلة وان كانت قديمة ، لازمت الانسانية منذ فجر التاريخ ، إلا أنها لم تشعر بوطأتها إلا تدريجيا ، بزيادة حاجات الانسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه . فالانسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر ، نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

فمسألة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك أن أفقر فقير فى العصر الحاضر ، يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العصور القديمة . كما أن متوسط الحال فى مصر أو الهند ، يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الامريكى أو الروسى .

وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا فى عصرنا الحالى ، وذلك بحكم سهولة إتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعى الاجتماعى ، فالفلاح فى القرية ذات الاقتصاد المغلق ، لم يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن فى عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد .

حقيقة مشكلة الفقر

وإننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن مشكلة الفقر لا تتمثل فى الجوع والحرمان أو قلة الموارد . وإنما فى وجود التفاوت الشديد فى الثروة والدخول ، سواء بين الأفراد على مستوى المجتمع المحلى أو بين الدول على مستوى المجتمع العالمى .

فليس معنى الفقر هو العجز عن الاشباع البسيط للحاجات الأساسية ، وإنما هو عدم اللحاق فى المعيشة بالمستوى السائد فى المجتمع . والفقير فردا كان أو دولة هو من يعيش فى مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى .

ونخلص من ذلك أن المشكلة الاقتصادية ليست كما تصورها الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة الفقر أو تعدد الحاجات وندرة الموارد . وإنما هى مشكلة سوء توزيع الثروة والدخول . وبعبارة أخرى هى مشكلة الانسان وسوء تنظيمه الاقتصادى وهو الأمر الذى أدركه الاسلام منذ البداية على نحو ما سنبينه .

المطلب الثانى
العامل المادى وتفسير التاريخ

ليس للتاريخ مفتاح واحد

إذا كان الانسان ينشط لاشباع حاجاته ، فان هذه الحاجات ليست مادية (اقتصادية) فحسب ، بل له حاجات أخرى معنوية (دينية كانت أو ثقافية أو ترفيهية .. الخ) .

ولا شك أن إشباع الحاجات المادية ممثلة فى المأكل والملبس والمأوى هى الحاجات الاولى والأساسية . ومن ثم فهى المشكلة الأولى لكل فرد أو جماعة ، وهى الشغل الشاغل للمجتمعات المتخلفة (وهى كثيرة) والطبقات الدنيا فى كل مجتمع (وهى الاغلبية) .

لذلك فنحن من القائلين بأهمية العامل الاقتصادى ، وأنه محور الصراع بين الأفراد وبين الشعوب . الا أننا لا نسلم بأنه العامل الوحيد ، فليس للتاريخ مفتاح واحد كما يذهب البعض (١) .

الاسلام يعتد بالعامل المادى

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، وأنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الانسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام وباعتباره خاتم الاديان ، لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية . وإنما جاء أيضا شريعة وتنظيما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء فى حياته المعيشية . فالعقيدة والشريعة فى الاسلام يكمل كل منهما الآخر ، ولا يقوم أحدهما دون الآخر ، ويمكن تصويرهما بساقى الانسان لا يستطيع أن يمشى على ساق دون الأخرى .

واذا كنا نتصور الاسلام فى بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون العقيدة ـــ فانه أيضا لا يمكن أن نتصور الاسلام فى بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفلون تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتى تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد ، فالتزام الشريعة ـــ لا سيما تعاليمها الاقتصادية ـــ هو الذى يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق المجتمع الاسلامى ، مجتمع المتقين . بل أن غاية العقيدة والتعبد فى الاسلام هو سلامة السلوك الاجتماعى وشرعية النشاط الاقتصادى ، « فالدين المعاملة » . وإننا نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة ، أو هؤلاء الذين يبحون أصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوى الاخلاقية ، دون أن يشغلوا أنفسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

الاسلام يدفع بالعامل المادى الى الصدارة

أكثر من ذلك ، فقد جعل الاسلام العامل المادى فى القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية ـــ وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الاحداث وتفرض المشكلة

نفسها — حيث يجب أن توضع فى الأساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك :

(أ) أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وانه نعم العون على تقوى الله ، وإن طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب العيش ، وإن من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويتأنق فى حياته ، وان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢) .

(ب) أنه يساوى بين الفقر والكفر . ولم يستعذ الرسول من شىء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا » ، ويقول « اللهم أنى أعوذ بك من الكفر والفقر » ، قال رجل أيعدلان ، قال : نعم .

(ج) إنه حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله علله فى القرآن بقوله تعالى :

« فيلعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خـوف » قريش ٣ و ٤ . فأساس العبادة فى الاســـلام والسبيل اليها ، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية ، حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى » طه ٢٥ و ٢٦ ، قرنه بقوله : « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » — طه ٣٣ و ٣٤ ، وهذا ما عبر عنه المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى بقوله « كيف أصلى وأنا جائع » .

(د) أنه اعتبر مجرد ترك أحد افراد المجتمع ضـائعا أو جائعا هو تكذيب للدين نفسه . فالله تعالى يقول « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » — الماعون ١ — ٣ . وجـاء فى القرآن « ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المســكين » المدثر : ٤٣ و ٤٤ .

وقوله تعالى « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يـوم ذى مسبغة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » البلد : ١١ . وقد سئل الرسول ما هو الافضل فى الاسلام ؟فقال«اطعام الجائع ونجدة من تعرفه ومن لا تعرفه »

المطلب الثالث
تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفـه منها

تعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية

جاء الاسلام بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر ما يعنى بالجانب الروحى ، ذلك لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به . وصدق الله العظيم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » — المائدة : ٣ . وقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » — الانعام : ٣٨ (٣) .

لذلك كان من الطبيعى أن يتعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية متمثلة فى مشكلة الفقر .

تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية

ولم يعتبر الاسلام المشكلة الاقتصادية كما تصورها الكتاب الرأسماليون بأنها مشكلة قلة الموارد ، أى مردها الطبيعة ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات . ولا هى كما تصورها الكتاب الماركسيون ، بأنها مشكلة التناقض بين قوى الانتاج

وعلاقات التوزيع ، أى مردها أشكال الانتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع وإنما رد هذه المشكلة الى الانسان نفسه وسوء تنظيمه الاقتصادى مما لا علاقة له بالطبيعة أو أشكال الانتاج . ويستفاد ذلك من الآيات الكريمة « الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » — ابراهيم ٣٢ — ٣٤ . وكما جاء فى الحديث « ما جاع فقير إلا بما متع غنى » (٤) .

موقف الاسلام من المشكلة الاقتصادية

فالمشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ليست نابعة من قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه . وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته ، مما قد يستتبع اقرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية السابقة . وإنما تتجسد هذه المشكلة فى ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة ، الى جانب كفرانه للنعمة باهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبى منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .

عالج الاسلام كفران النعمة بما وضعه للانتاج والتداول من أحكام ، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تعاليم ، ونشير هنا بايجاز الى نص المفاهيم الاسلامية فى مجالى الانتاج والتوزيع .

الفرع الاول — من حيث الانتاج :

الانسان هو خليفةالله فى أرضه

جاء الاسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن الانسان هو خليفة الله فى أرضه : « إنى جاعل فى الارض خليفة » البقرة : ٣ . وانه تعالى سخر له ما فى السموات وما فى الارض « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » — الجاثية : ١٣ ، وذلك ليعمر الدنيا ويحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده تعالى : « فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » — الجمعة : ١٠ .

العمل والانتاج عبادة فى الاسلام

وعلى أساس تصور أن الانسان خليفة الله في أرضه ، جاءت تعاليم الاسلام حاثة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، ويقول الرسول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » بل ان العمل وزيادة الانتاج فى نظر الاسلام عبادة ، والفرد العامل قريب من الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » — الشورى : ٢٦ ، ويقول الرسول : «العمل عبادة » ويقول : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا

له يوم القيامة » ، وقبل الرسول يدا ورمت من كثرة العمل وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » لذلك اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبى رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به : قالوا : أخوه ، قال : أخوه أعبد منه ، وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكـر الله ، فقال له الرسول : « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله — أى فـى سبيل المجتمع — أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما » . ويقول « لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين »

ولقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله : « ليس الايمان بالتمنى ، ولـكن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ، ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة » .

بعض تعاليم الاسلام فى ممارسة الانتاج

ولقد أوجب الاسلام إتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية، فالله تعالى يقول : « ولتسئلن عما كنتم تعملون » — النحل : ٩٣ ، ويقـول الرسول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الاساليب العلمية فى الانتاج وصدق الله العظيم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » — الزمن : ٩ .

كما أوجب الاسلام تنوع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة فى الاسلام أن كل مالا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادى كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا « فرضا » على الدولة القيام به . وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها وقال الرسول : « ما من مسلم يغرس أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة » ولكن حين سئل الرسول : « أى الكسب أطيب » ، قال : « عمـل الرجل بيده وكل بيع مبرور»وفى ذلك اشارة الى الصناعة والتجارة والى أنهما أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادى .

كذلك نهى الاسلام عن الانتاج الضار كانتاج الخمور : فيقول تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبـوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠ . ويقول الرسول : « لعن الله الخمـر وشاربهـا وساقيها ، وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه » . كما نهى عن التعامل بالربا فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » — البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ويقول الرسول : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده » كما نهى عـن احتكار السلع : فيقول الرسول : (من احتكر حكرة يريد أن يغلى بهـا على المسلمين فهو خاطىء) ، ويقول « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ، ويقول : « الجالب فى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، والمحتكر فى سوقنا كالملحد فـى كتاب الله » .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقـول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب اليم » — التوبة : ٣٤ ، ويقول الرسول : (من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه

فى سبيل الله ،فهوكنز يكوى به يوم القيامة) ومن ثم يقول الرسول : « اتجروا فى مال اليتيمحتى لا تاكله الزكاة » ، ويقول « ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » فتنزع الارض ولو كانت مواتا او بورا من مالكها اذا انقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار .وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول لبلال وقد أعطاه الرسول أرض العقيق : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقى » . بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاجوتعمير الدنيا ، ان قال الرسول : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ـ اى شتلة ـ فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

عوامل الانتاج فى الاسلام

وقد اعتبر الاسلام من عوامل الانتاج ، عاملين هما :

(ا) العمل : ويشمل عمل العامل (وهو المجهود الذى يبذله الانسان لخلق المنفعة سواء كان يدويا كعمل الفلاح والعامل ، أو عقليا كعمل المدرس والطبيب والمحامى ... الخ) . كما يشمل عمل المنظم (وهو الذى يوجه العملية ... الانتاجيه .. ويوائم بين عناصر الانتاج المختلفه بما يحقق سير الانتاج ومضاعفته) .

(ب) رأس المال ويشمل الطبيعة (أى الثروات التى ليس للانسان دخل فى وجودها كالارض والماء والحيوان والمناجم ... الخ) . كما يشمل راس المال بمعناه المعروف (أى الثروات الناتجة عن نطاق العمل والطبيعة ، والتى لا تصلح لاشباع حاجات الناس مباشرة وانما تستخدم الانتاج موآد اخرى صالحة للاشباع المباشر ، ومن قبيل ذلك رؤوس الأموال السائلة كالنقود ورؤوس الأموال العينية كالمبانى والآلات) .

ويستفاد ذلك من اجماع فقهاء المسلمين على توزيع الربح ـ وهو حصيلة الانتاج ـ بين العمل ورأس المال . ففى عقد المضاربة ويسمى ايضا بالمقارضة ، يقدم احد الشركاء وهو رب المال أى المقارض (رأس المال) بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أى المضارب (العمال) ... وقد سمى كذلك لأنه يضرب فى الارض ويسعى فيها قصدا الى المال وتنمية التجارة .

على أن يلاحظ أن رأس المال لا يعتبر فى الاسلام عنصرا من عناصر الانتاج الا اذا شارك عنصر العمل فى الانتاج متحملا غرمه . أما رأس المال بوحده (سواء كان فى صورة رأس مال أو أرض) ، فلا يعتبر عنصرا من عناصر الانتاج . وهذا هو السببفىأن الاسلام لا يعترف بالفائدة كعائد لرأس المال وحده (أى دون مشاركة فى الربح والخسارة) ، كما انه على الرأى الذى نؤيده لا يعترف بالريع كعائد للارض وحدها (أى حالة التأجير دون ـ الزراعة) ويكون الأصل فيه أن الارض لمن يزرعها (٥) .

وتعتبر هذه المسألة من أهم المسائل التى يختلف فيها الاقتصاد الاسلامى ، عن كل من الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى : ـ

ـ ففى الاقتصاد الرأسمالى عناصر الانتاج أربعة هى : العمل وعائدة الأجر ، والطبيعة وعائدها الريع ، ورأس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح . ويتحدد ثمن أو قيمة كل عنصر من عناصر الانتاج سالفة الذكر على أساس سعر السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب .

ـــ أما فى الاقتصاد الاشتراكى فعنصر الانتاج الأساسى هو العمل سواء كان يدويا أم عقليا وعائده هو الاجر أو الراتب ، والذى تحدده السلطات حسب خطة التنمية الاقتصادية آخذة فى الاعتبار قوى العرض والطلب دون أن ـــ تتقيد بهما تقيدا تاما . أما بقية عناصر الانتاج الأخرى كالطبيعة ورأس المال والمنظم ، فتظل موجودة وانما ينتقل عائدهـــا الى الدولـــة تتصرف فيها بحسب خطـــة التنميـــة (٦) .

أما فى الاقتصاد الاسلامى فعناصر الانتاج كما سبق أن قلنا هى العمـــل ورأس المال ، مع ملاحظة أن رأس المال بوحده لا يكون له عائد ، إلا إذا ساهـــم مع العمل فى الغرم ،وحينئذ يكون له نصيب فى العائد (أيا كانت نسبته بحسب الاتفاق) فى صورة ربح لا فائدة .

الفرع الثانى : من حيث التوزيـــع

المال مال الله والبشر مستخلفون فيه :

جاء الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا ، معلنا أن كل ما فى يد البشر من مال هو ملك لله أصلا « ولله ما فى السموات ومافى الارض » ـــ النجم : ٣١ ، وان البشر مستخلفون فيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ـــ الحديد : ٧ ، وانه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) النـــور : ٣٣ .

فبحسب الاسلام حيازة المال ليست امتلاكا ، و إنما هى وديعة أو وظيفة ، ومن ثم يتصرف فيها بتعاليم الاسلام (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) . المؤمنون : ٨ .

لكل حاجته أولا .. ثم لكل تبعا لعمله :

وقد جاءت تعاليم الاسلام فى مجال التوزيع صريحة بأن لكل حاجتـــه أولا بقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) ـــ الاسراء : ٢٦ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ـــ المعراج : ٢٤ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق للسائل والمحروم) ـــ الذاريات : ١٩ ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من ترك كلاً ، فليأتنى فأنا مولاه) أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفيل به ، وقوله (من ترك ضياعا فعلى ضياعه) .

وهذا الحق هو حق أبيه الذى يعلو فوق كل الحقوق ، وفى إنكاره أو إغفاله إنكار للدين نفسه لقوله تعالى (أرأيت الذى يكـــذب بالدين ، فذلك الـــذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ـــ الماعون / ـــ ٣) .

وقول الرسول (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائـــع الى جنبه وهـــو يعلم) ، وقوله (أيما أهل عرضة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) ، وقوله (المسلمأخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) . ويعلق على الحديث الأخير الامام ابن حزم فى كتابه المحلى فيقرر أن (من تركه يجوع ويعرى فقـــد أسلمه) ، ويضيف ابن حزم أنللجائع عند الضرورة أن يقاتل فى سبيل حقه فى الطعـــام الزائد عند غيره (فان قتل الجـــائع فعلى قاتله القصاص ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله) .

كما ان هذا الحق مقرر لكل مواطن فى المجتمع الاسلامى ، بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ، ويروى أبو يوسف فى كتابه الخراج أن الخليفة عمر ابن الخطاب رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فقال : الجـزية والحاجة والسن ، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعال من بيت مال المسلمين ، وارسل الى خازن بيت المال (أنظر الى هذا وضربائه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) .

ولقد عبر الفقهاء القدامى عن هذا الحق باصطلاح حد الغنى أو حد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، بمعنى أن لكل انسان حاجاته الضرورية والتى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، بحيث اذا عجز لسبب خارج عن ارادته أن يوفى لنفسه الحد اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة فى بيت مال المسلمين أى فى خزانة الدولـة ..

وانه متى توافرت لكل فرد من أفراد المجتمع حاجاته الضرورية من مأكل وملبس ومسكن .. الخ مما يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، فان التوزيع يكون بعد ذلك على أساس أن لكل تبعا لعمله . فالقرآن يقول (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) النساء / ٣٢ ، والحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن أتقى) .

عمر بن الخطاب يلخص نظرية التوزيع فى الاسلام

وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب نظرية التوزيع فى الاسلام بقوله :

(ما من رجل الا وله فى هذا المال حق ، الرجل وحاجته .. والرجـل وبلاؤه) ، وقوله (انى حريص على الا أدع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف) .

وفى أواخر أيام حياته حين بدأت تظهر طبقة معنى فى الغنى ، ولم تسعفه فى علاج الموقف ، قال كلمته المشهورة (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء) .

الاسـلام لا يسمح بالغنى آلا بعد كفالة حد الكفاية ، كما لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة أو بالترف .

ومؤدى ما تقدم أن الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد توفر حـد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن . وبعبارة أخرى انه لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا . ومن هنا فنحن مع القائلين أنه فى الظروف غير العادية حيث يعم الفقر وينتشر الحرمان ، لا يجوز لاحد أن يمتلك أكثر من حاجته . ويؤكد هذا قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ـ البقرة : ٢١٩ ، والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة . وقـول الرسول عليه السلام : (اذا بات مؤمن جائعـا فلا مال لاحد) ((٧)) ، وقـول الرسـول : (ان الأشـعريين اذا ارسـلوا فى الغـزو أو قل طعـام عيالهم فى المدينـة ، حملوا ما كان عنـدهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهـم) ، وقول الرسول فى سفر (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن

ان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويضيف الرواه أن الرسول
كر من أصناف المال ما ذكرحتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل .

كذلك فان الاسلام اذ يسمح بالغنى بعد ضمان حد الكفاية ، وذلك لكل
بعا لعمله ، الا انه لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة كما لا يسمح بالترف .
الغنى والتفاوت فى الثروة والدخول ليس مطلقا فى الاسلام ، بل هو مقيد
قيدين أساسين :

أولهما ــ ألا يكون التفاوت فى الغنى كبيرا ، اذ من أكبر بواعث السخط
الجرائم فى المجتمعات وتخلق الطبقية والصراع بينها ، التفاوت الفاحش وتركز
الثروة فى يد فئة قليلة من الناس ، الامر الذى نهى عنه الاسلام بقوله تعالى
(كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ــ الحشر : ٧ . وكشف عنه تصرف
الرسول بتوزيع فىء بنى النضير على المهاجرين واثنين فقط من الانصار
كانوا فقراء .

ثانيهما ــ الا يؤدى الغنى الى الترف لقوله تعالى (واتبع الذين ظلموا
ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) ــ هود : ١١٦ . وقد علمنا التاريخ أن الشعوب
حين تبدأ حياة الترف والمغالاة ، فانه يكون ذلك ايذانا بغروب شمسها وأفول
نجمها ، وصدق الله العظيم (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) ــ الاسراء : ١٦ . وهو ما عبر عنه
الرسول بقوله (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا
كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما
أهلكتهم) ، وقد حلل ابن خلدون فى مقدمته مبدأ كراهية الاسلام لاسلوب الترف
بأن من شأنه اشاعة السلبية والتكاسل ، وانه جرثومة القضاء على الحضارة .

• • •

لقد ادرك الاسلام منذ البداية ، ان مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان ، ولن
تتداركها الاجراءات الاصلاحية التى تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان ،
بل لا بد من حل جذرى ، ومن هنا كانت نقطة البداية فى الاقتصاد الاسلامى ،
بالاضافة الى الحث على اتقان العمل وزيادة الانتاج ورفعه الى مرتبة العبادة ،
ما قرره من ضمان حد الكفاية واذابة الفوارق بين الافراد على نحو ما أشرنا اليه
وسنعود الى ايضاحه .

---

١ ــ يذهب بعض المفكرين الى تفسير احداث المجتمع بعامل واحد من العوامل المؤثرة فى حياة الانسان ، ويعتبرونه العامل الاساسى فى أحداث التاريخ .

وهم يختلفون فى بيان هذا العامل ــ فبينما يرى فريق منهم كبعض علماء الدين والاجتماع أنه العامل الدينى أو الروحى ، يرى فريق آخر كبعض علماء الاقتصاد وخاصة الماركسيين منهم بانه العامل الاقتصادى ، بينما يرى فريق ثالث كبعض علماء النفس وخاصة الغربيين منهم بانه العامل الجنسى .. الخ والواقع ان كل عامل من هذه العوامل وغيرها له دوره ، وانما غلبة أحد هذه العوامل وسيادته على العوامل الاخرى مرده ظروف الزمان والمكان . ولا شك ان العامل الدينى كان العامل المؤثر فى العصور الوسطى ، كما أن العامل الاقتصادى هو العامل المؤثر فى العصور الحديثة ، كما ان هناك مجتمعات يلعب فيها العامل الجنسى دورا رئيسيا فى مجرى أحداثها .

٢ ــ آيــات :

ــ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ــ الكهف / ٤٦
ــ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ــ النساء / ٥
ــ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنــوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ــ الاعراف / ٣٢

أحــاديث :

ــ نعم العون على تقوى الله المال ويقول : ((نعم المال الصالح للعبد الصالح))
ــ طلب كسب الحلال فريضة ويقول : طلب الحلال جهاد
ــ من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويقول : ما عال من اقتصد
وكان عليه السلام يناجى ربه بقوله (اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى)
ــ ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم فى طلب العيش .
ــ خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس .
ــ اتى أحدهم الرسول وعليه ثوب دون ، فقال له : ((ألك مال)) ، قال : نعم ، قال : ((من أين)) ، قال : اعطانيه الله عــز وجل ، فقال الرســـول : ((آتاك الله مالا فلير أثــر نعمته عليك)) .
ويقول : اذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على انفسكم .
ــ وسئل الرسول ، ان الرجل يحب ان يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، فهذا من الكبر؟ فقال عليه السلام : ((ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطــر النعمة وغمط الناس)) .
ــ كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة أو سرف ، فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .
ويقول : كلوا أطيب الطعام والبسوا أجمل الثياب وانتعلوا احسن النعال وليمش الواحد منكم بين الناس وكأنه شامة .
ويقول : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطاتك اثنتان اسراف او بخيلة .

(٣) حين يقول القرآن ((ما فرطنا فى الكتاب من شىء)) ، لا يعنى الاحاطة بكافة تفاصيل الحياة والمعرفة ، فليست تلك مهمته ، وانما يعنى أنه لم يفرط فى شىء مما هــو أساس فى تحــديد القيم التى توجه الانسان فى مختلف جوانبها ومراحل تطورها .

(٤) أنظر الاستاذ محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٩٦٩ ، دار الفكر ، ص ٣٠٧ ،٥٩٥ .

(٥) ــ انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى فى الفصل الخــامس بفوائد عناصر الانتاج التى يقرها والتى لا يقرها الاسلام ص ١٧٣ ، ٢٢٥ من رسالة للدكتوراه (مساهمة فى دراسة الاقتصاد الاسلامىمذهبا ونظاما) والتى نوقشت بكلية التجارة جامعة الازهر فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٢ .

(٦) انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور صلاح الدين كامــل فى مؤلفه أسس عــلم الاقتصاد الاشتراكى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ ، ص ١٦١ وما بعدها .
وكذلك فى مؤلفه علم الاقتصاد ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٦٩ ، ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٧) يعلق الاستاذ الدكتور على البارودى على ذلك الحديث بقوله (انه ما دام فى المجتمع جــائع واحد أو عــار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من أفراد هذا المجتمع لا يمكن ان يكــون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته .. ومعنى ذلك ان هذا الجــائع الواحد يسقط شرعية سائر حقوق الملكية الى أن يشبع . أنظر كتابه دروس فى الاشتراكية العربية ، مكتبة المعــارف ١٩٦٦ ، ص ٩٦ .



الهنـــــا ما أعـــدلك — مليـــــك كل من ملك
لبيـــك قد لبيت لـــك — لبيك ان الحــــمد لك
والملـــك لا شريك لـــك — ما خاب عبد ســـألك
أنت لـــه حيث ســـلك — لولاك يا رب هلـــك
لبيـك ان الحــــمد لك — والملـــك لا شريك لـــك
والليـــل لمـــا أن حلك — والســـابحات فى الفلك
على مجـارى المنســـلك — كـــل نبى وملـــك
وكـــل من أهل لـــك — ســـبح أو لبى فلـــك

يا مخطئـــا ما أغفـــلك — عجـــل وبادر أجلـــك
اختـــم بخـــير عملك — لبيـــك ان الحـــمد لك
والمـــلك لا شريك لـــك — والحـــق والنعمـــة لك

للشاعر أبى نواس

تعليق ورد

حول مقال مولد محمد صلى الله عليه وسلم

جاءنا من الشيخ (احمد محمد ابو زيتحار) عميد معهد القراءات الازهرى بدمنهور وعضو بعثة الازهر لتدريس علوم القرآن بالجامعة الاسلامية بأم درمان سابقا :

جاء فى العدد ٨٧ ربيع الأول ١٣٩٢ ابريل ١٩٧٢ ، فى المقال الذى كتبه الاستاذ عبد الكريم الخطيب تحت عنوان « مولد محمد صلى الله عليه وسلم » ص ٨٦ س ١٩ ، ٢٠ « ان اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » الى آخر ما ذكره الاستاذ فى مقاله ..

وهذا ليس بصحيح .. فقد ذكر علماء السير والتاريخ أن الاسم الكريم تسمى به اناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يكون المسمى واحدا منهم . وذلك أنه لما قرب زمان بعثته وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به . ومع اتفاق علماء السير والتاريخ على هذا فقد اختلفوا فى عدد من سمى بهذا الاسم قبل البعثة . فقيل ثلاثة . وقيل ستة . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرون . والى القارىء الكريم ما نقل عنهم فى ذلك ..

ذكر السهيلى فى الروض الأنف أنهم ثلاثة ـ محمد بن مجاشع ـ ومحمد بن أحيحة ـ ومحمد بن حمران . والقاضى عياض فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

حصرهم فى ستة لا سابع لهم كما قال . اتفق مع السهيلى فى الثلاثة المذكورين وزاد عليهم محمد بن مسلمة الأنصارى ومحمد بن البراء ومحمد بن خزاعى . وقد رد الحافظ ابن حجر فى فتح البارى على القاضى عياض حصرهم فى ستة كما رد على السهيلى ومن تبعه حصرهم فى ثلاثة .. وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء من تسمى بذلك الاسم فى جزء مفرد فبلغوا كما قال فى الفتح نحو العشرين مع تكرار فى البعض ووهم فى البعض الآخر . وخلاصتهم بعد حذف المكرر ومن فيه وهم خمسة عشر شخصا والى القارىء الكريم أسماؤهم مع بيان ضبطها وما ورد فى ذلك :

١ ـ محمد بن عدى بدال مهملة ابن ربيعة من سواءة ـ بضم السين ـ بوزن حدافة بن جشم ـ بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ـ بن سعد . وسبب تسميته محمدا كما قال الحافظ فى الاصابة نقلا عن ابن شاهين من طريق العلاء عن خليفة بن عبدة قال سألت محمد بن عدى كيف سماك أبوك فى الجاهلية محمدا ؟ قال : أما انى سألت أبى عما سألتنى عنه فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحدهم وشعبان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك ويزيد بن جفنة الغسانى بالشام فلما(١) وردنا الشام ونزلنا على غدير وعليه سمرات(٢) وقربه قائم الديرانى . فقلنا لو اغتسلنا من هذا الماء وادهنا ولبسنا ثيابنا ثم اتينا صاحبنا ففعلنا . فأشرف علينا الديرانى (٣) فقال ان هذه للغة قوم ما هى بلغة أهل هذا البلد ، فقلنا نحن قوم من مضر ، قال من اى المضائر ؟ قال قلنا من خندف . فقال أما انه سيبعث منكم وشيكا نبى فسارعوا اليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين ، فقلنا ما اسمه ؟ قال (محمد) ، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا لذلك .

٢ ـ محمد بن أحيحة ـ بضم الهمزة وفتح الحاءين ـ بن الجلاح ـ بضم الجيم وفتح اللام ـ مخففة وهل أحيحة أبوه أم جده ؟ تردد فى هذا الحافظ ابن حجر فى الاصابة ـ وقال رايت فى رجال الموطأ ان الأحيحة ابنا يسمى عقبة ولعقبة ابن يسمى محمدا ـ فهو على هذا محمد ابن عقبة بن أحيحة .

٣ ـ محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب . وقد عده أبو نعيم فى الصحابة والصحيح أنه لا صحبة له لأنه مات قبل البعثة بدهر كما قاله الحافظ ابن حجر فى الاصابة ..

٤ ـ محمد بن البراء بن طريف ـ بفتح الطاء وكسر الراء ـ بن عتوارة البكرى ـ بضم العين وكسرها .

٥ ـ محمد بن الحرث بن حديج ـ بضم الحاء وفتح الدال .

٦ ـ محمد بن حرماز ـ بكسر الحاء وسكون الراء ـ وآخره زاى كما ضبطه الحافظ ابن حجر والعينى .

٧ ـ محمد بن حمران بن أبى حمران .

٨ ـ محمد بن خزاعى بن ذكوان السلمى مسمى محمدا طمعا فى النبوة ذكر الطبرى ان أبرهة الحبشى توّجَهُ وأمره أن يغزو بنى كنانة فقتلوه .

---

(١) أى ثلاثتهم لان ابن جفنة كان بالشام .

(٢) سمرات جمع سمرة شجر الطلح .

(٣) الديرانى نسبة الى الدير على غير قياس والنسبة اليه الديرى كما هو معروف .

٩ ــ محمد بن خولة الهمــوانى ــ بفتح الخاء وسكون الواو .

١٠ ــ محمد بن شـــعبان بن مجاشع التميمى .

١١ ــ محمد بن اليحمد الأزدى واختلف فى ضبط اسم أبيه (اليحمد) فقيل بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقيل بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم ، وبهذا ضـبطه الامام النووى فى شرح مسـلم وأبو على الغسانى فى كتابه تقييد المهمل وابن ماكولا . زاد ابن ماكولا ان أصحاب الحديث يضبطون كذلك لكنهم يضمون الميم .

١٢ ــ محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة التميمى .

١٣ ــ محمد بن الأسيدى بضم الهمزة وفتح السين ، ذكر الاخيرين ابن سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك .

١٤ ــ محمد الفقيمى ــ بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء .

١٥ ــ محمد بن عمرو بن مغفل ــ بضم الميم وسكون الغـــين وكسر الفاء .

هذا ولم يدرك الاسلام من هؤلاء الا محمد بن عدى وتقدمت قصـــته وسبب تسميته محمدا ، والا محمد بن البراء والا محمد بن مسلمة الأنصارى .. وهذا الاخير ذكره القاضى عياض فمن سمى محمـــدا فى الجـاهلية والمتتبع لما كتبه الحافظ فى الأصابة يدرك أنه ولد قبل البعثـــة باثنتين وعشرين سنة كما قال الواقدى فتكون ولادته بعد ميلاده صلى الله عليــه وسلم بثمان عشرة ســنة ولهذا لم يذكره الحافظ ابن حجر فيمن ســمى بهذا الاسم .. وأيا ما كان الامر فهو بدرى من فضـلاء الصـحابة وممن أعتزل الفتنة فلم يشـــهد الجمل ولا صفين وكان عمر رضى الله عنه يعده لكشف المعضلات . وأعطـاه رسول الله صلى الله عليه وســلم ســيفا وقال له قاتل به المشركين ما قاتلوا فاذا رأيت أمتى يضـــرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية .. ففعل . قال فى الأصابة ودخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الاردن فى داره فقتله .

وصدقت نبوءة الرسول فى قتله بيد خاطئة واختلف أهل السير فى أول من تسمى بهذا الاسم الكريم . فقيل محمد بن أحيحة . وقيل محمد ابن شعبان بن مجاشــع التميمى . وقيل محمد بن اليحمد الأزدى . وقد صان الله سبحانه الاسم الكريم أن يدعى أحد ممن تسمى به قبل مبعثه النبوة أو يدعيها انســـان له وتلك مكرمة كرم الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

• • • • • • • • • •

وقد ارسلنا هذه الرسالة للاستاذ عبد الكريم الخطيب فاجاب :

اطلعت على الرسالة التى بعث بها اليكم الاستاذ أحمـد محمد أبو زيتحار ، تعليقا على مقالى المنشور بالعدد ٨٧ تحت عنوان : « مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم » .

وقد جاء فى تعقيب الاســتاذ أبو زيتحار على هــذا المقال أنه ليس بصحيح ما قلته من « أن اسم محمد

لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » .

ومع أنى لم اقل هذه العبارة التى نسبها الاستاذ الى ، بل ان الذى قلته هو ما نصه حرفيا : « ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولأول مرة يطرق أسماعها أن من ابنائها من يسمى (محمدا) » .

« ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة كانت تدور فى محاوراتها ومساجلاتها وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها فانها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها من احرار أو عبيد » .

وواضح من هذا ان العبارة التى نسبها الاستاذ الى فيها قطع وجزم بأن اسم (محمد) لم يسم به عربى أو قرشى قبل رسول الله ، على حين أن عبارتى ليس فيها هذا القطع بالنفى المطلق ، وانما هو نفى لا يمنع من احتمال وقوع بعض افراد المنفى، ولكن على ندرة لا يعتد بها الى جانب الشائع المتداول من الاسماء ..

— اقول : مع هذا ، فانى اتجاوز عن هذا الفرق الدقيق بين عبارتى ، والعبارة التىنسبها الاستاذ أبوزيتحار الى ، واقبل أن تكون كلمته ترجمة صادقة لعبارتى .. فأقول : « ان اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه واجداده ، ولم يسمه به عربى أو قرشى قبله » !

فماذا فى هذا .. ؟

لقد خطأ الاستاذ هذه المقولة ، وذكر أن علماء السير والتاريخ قالوا بأن الاسم الكريم قد تسمى به اناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما قرب زمان مبعثه وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم اولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به .

ثم أتى الاستاذ على مقولات هؤلاء العلماء ، وما وقع من اختلاف بينهم فى عدد من تسموا بهذا الاسم ، فمن قائل : انهم ثلاثة ، وقائل : انهم ستة ، الى قائل : انهم عشرون !

وانى اوجز ردى على هذا التعقيب فيما يلى :

فأولا : هذه المقولات التى نقلها الاستاذ عن علماء السير والتاريخ حول من تسمى بمحمد قبل البعثة النبوية ، أو قبل المولد النبوى — هذه المقولات ، وكثير غيرها كانت بين يدى عند كتابة هذا المقال ، بل وكانت موضع دراسة خاصة فى كتابى الذى نشرته لى دار الفكر العربى بالقاهرة فى سنة ١٩٦٣ تحت عنوان : « النبى محمد ، انسان الانسانية ونبى الانبياء » .

وفى فصل من فصول هذا الكتاب تحت عنوان : « الاسم والمسمى » من صفحة ٢٤ الى صفحة ٤٤ ، ذكرت قول القاضى عياض فى كتابه (الشفا) ونصه : « أما (أحمد) الذى أتى فى الكتب ، وبشرت به الدنيا ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .. وكذلك اسم محمد أيضا ، لم يسم به أحد من العرب أو غيرهم الى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم

بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ثم حمى سبحانه كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه شيء يشكك أحدا فى أمره ، حتى تحققت السمتان — أى الاسمان — له صلى الله عليه وسلم » .

هذا ما قرره القاضى عياض فى هذه القضية ، فى شأن من تسموا بمحمد قبيل ميلاد النبى صلى اللهعليه وسلم .. ومع أن القاضى عياض من أوثق وأدق من كتب فى السيرة النبوية ، فقد رأيت رد مقولته هذه ، لما فيها من اضطراب وتناقض .. حيث يقول ان الذى أتت به الكتب — السماوية — وبشرت به الدنيا ، اسمه (أحمد) ، ثم يقول بعد هذا : انه شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) .. فمن أين جاء اسم محمد ، والذى فى الكتب السماوية انه أحمد .. ؟ أليس فى هذا تناقض بين المقدمة والنتيجة .. ؟

وثانيا : لم أعول اذن على قول القاضى عياض ، ولا غيره من كتاب السير والتاريخ ، ممن قالوا بأن بعض العرب قد سموا أبناءهم باسم محمد قبيل مولد النبى ، الذى بشر به أهل الكتاب ، رجاء أن يكون أحد المسمين هو النبى المنتظر ..

نعم ، لم أعول علىهذه المقولات ، وذلك لأمور :

منها : أن النبى المبشر به فى الكتب السماوية عند أهل الكتاب اسمه (أحمد) لا (محمد) وان كان الاسمان من مورد واحد ، يرادف أحدهما الآخر .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى على لسان السيد المسيح الى بنى اسرائيل : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (٦ : الصف) .. فلو أن العرب الجاهليين أخذوا بما بشر به أهل الكتاب — من اليهود والنصارى — عن النبى المرتقب ، ونازعتهم أنفسهم أن يرشحوا مواليدهم لهذه النبوة ، لتواردوا على اسم (أحمد) لا (محمد) !

ومنها : أن هذه الاسماء التى ذكرها علماء السير والتاريخ عمن تسموا باسم (محمد) فى الجاهلية — هى أسماء لنكرات ، لم يعرف لاسم ممن ذكر فى هذا المقام شأن فى الحياة الجاهلية ، فليس فى هؤلاء المحمدين شاعر ، أو فارس ، أو حكيم ، أو خطيب ، أو كاهن ، ممن بقى فى ذاكرة العرب بعض آثارهم وأخبارهم الى أن جاء الاسلام ، وبدأ عصر التدوين ..

والسؤالهنا : كيف يحتفظ التاريخ الجاهلى بهذه الاسماء النكرات لا لشيء الا لأن أصحابها تسموا باسم النبى قبل مولده .. ؟ وكيفعثر عليها علماء الآثار فى غبار الزمن الذى عفى على حياة العصر الجاهلى .. ؟

لقد ضاع كثير من معالم الجاهلية وآثارها ، وما بقى من تلك الحياة ، سواء فى الاشخاص ، أو الآثار التى خلفوها ، قليل قليل الى جانب هذا الكثير الذى ذهب فى رمالالصحراء ! فكيف — والحال كذلك — يحتفظ بهذه الاسماء . وانسابها ، وليس لأحد من أصحابها شأن يذكر به .. ؟

ذلك لا شك أثر من آثار الوضع

الذى عمل له اصحاب المنازع الفاسدة ، والأهواء المضللة ، والذى اعان عليه أمية العرب فى جاهليتهم، وعدم وجود تاريخ مقيد لآثارهم وأخبارهم ، ففتح ذلك ابوابا واسعة دخل منها ذوو النيات السيئة ، والطوايا الخبيثة ، فاستملوا من هذا الفراغ ما أملته عليهم أهواؤهم ، دون أن يعقب عليهم معقب ، أو يحاكمهم الى مرجع ثابت ، أحد !

ومنها : أن من اكرام الله تعالى لعبد من عباده المقربين أن يفرده سبحانه باسم لم يتسم به أحد قبله ، كما كان ذلك منه سبحانه وتعالى ليحيى عليه السلام ، اذ يقول سبحانه : « يا زكريا .. انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » (٧ : مريم) .. فاذا كان ذلك ليحيى عليه السلام ، أفلا يكون مثله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبيين ، وصفوة المرسلين ؟

ومنها : أن القرآن الكريم ذكر النبى — صلوات الله وسلامه عليه — بالاسم (محمد) الذى سمى به يوم مولده ، والذى عرف به فى قومه ، ولم يذكره بالاسم الذى سماه تعالى به فى التوراة والانجيل ، وهو (أحمد) ..

فاذا كان سبحانه قد حمى اسم (أحمد) المبشر به قبل مولده من أن يسمى به أحد قبله ، تشريفا وتكريما له — صلوات الله وسلامه عليه — أفلا يكون من الاولى أن تقوم هذه الحماية على الاسم الكريم (محمد) الذى هو سمة (محمد) فى قومه ، والذى خاطبه به الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (٢٩ : الفتح) ، ويقول تبارك اسمه : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٤٠ : الاحزاب) ويقول جل وعلا : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١٤٤ : آل عمران) ؟

ومنها : ان اصحاب الاسماء التى ذكرها المؤرخون وكتاب السير لمن تسموا بمحمد ، ليس فيهم واحد من قريش ، أصحاب الرياسة الدينية على العرب ، وأهل البلد الحرام ، وسدنة البيت الحرام ، واكثر العرب اتصالا واحتكاكا بأهل الكتاب ، فى تجارتهم الى الشام واليمن — فلو انه كان قد وقع للعرب ان نبيا سيبعث فيهم ، اسمه (محمد) — انما كان من منطق الواقع أن تكون قريش هى المتطلعة الى هذا الشرف ، فيشيع فى مواليدها اسم (محمد) وأن يكون فى كل بيت من بيوتها المتنافسة على الشرف والسيادة ، أكثر من اسم لمحمد ، لعل النبوة أن تصادف واحدا من ابنائها المسمين بهذا الاسم ؟ ثم لو كانت هذه النبوة معروفة فى قريش ، أو واقعة موقع الجد منها — انما كان الاولى عند عبد المطلب — جد النبى — الذى سمى حفيده بهذا الاسم أن يسمى به (حمزة) ابنه ، الذى كان مولده مقاربا لمولد النبى ؟

ومنها : هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، وهذه الاسماء لرجالات هذا العصر من مسلمين ومشركين من قبائل العرب كلها — هل يذكر فى هذا العصر أحد اسمه (محمد) غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبعد ، فان هذا الامر أوضح من ان يدل عليه ، أو يدافع عنه ، اذ يشهد له القرآن الكريم شهادة

قاطعة ، ثم يجيء من بعد القرآن ، هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، حيث يخلو خلوا تاما من صحابى أو مشرك كان له اسم (محمد) ! فأين ذهب أصحاب هذه الاسماء من المحمدين الذين ذكرتهم كتب التاريخ ؟

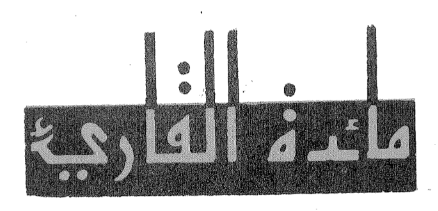
واذا كان لنا من قول نقوله بعد هذا ، فهو عن هذه المرويات ، وتلك الاخبار التى دست على تراثنا الاسلامى والعربى ، فى كتب التفسير ، والحديث ، وفى كتب السير والاخبار ، والتى نزلت من قلوبنا وعقولنا منزل التقديس لكل كلمة فيها ، اما لجلال الموضوع الذى دست فيه ، واما لمكانة الشخصية التى دست عليها ، الامر الذى عطل عقولنا عن النظر فيها ، فقبلناها على علاتها ، وأقمنا مفاهيمنا عليها ، وعاملناها معاملة الحقائق الثابتة التى تبنى عليها عقيدتنا ، وكان من ذلك أن وقع كثير منا فى هذه البلبلة التى نشأت أو تنشأ من هذا الانفصال والتناقض بين حكم العقل ، ومنزع الوجدان .. !

ان الامر يحتاج الى مراجعة لهذا التراث العظيم ، لتخليصه من تلك الشوائب التى ألقى بها فى عبابه الزخار أعداء الاسلام ، وخاصة اليهود الذين لم ينقطع كيدهم لدين الله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، ولن ينقطع أبدا ، وقد نبه الله تعالى نبيه الكريم والمسلمين الى هذا الكيد ، المنبعث من عداوة مضمرة ، لا تنطفىء نارها أبد الدهر ، حيث يقول سبحانه فى كتابه الكريم : « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله انى يؤفكون » (٤ : المنافقون) .

واذا كان لنا من أمنية نتمناها على المجامع العلمية ، فى كل قطر من أقطار أمتنا الاسلامية والعربية ، فهى التصدى لهذا العمل العظيم قبل كل شىء ، وذلك بتنقية هذا الغثاء الكثير الذى يحمله تراثنا المجيد ، حتى تصفو موارده للواردين ، وتنكشف حقيقة جوهره الكريم لأعين الناظرين .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .





ربنـــا انى آسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنـــا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشــــكرون .. (قرآن كريم)

عشر حسنات

قال ابن أبى ليلى انى لأساير رجلا من وجوه أهل الشـــام اذ مر بحمال معه رمـــان فتناول منه رمانةوجعلها فى كمه فعجبت من ذلك ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى حتى مـــر بسائل فقير فأخرجها فناوله اياهـــا فقلت له : رأيتك قد فعلت عجبا .

قال وما هو قلت : رأيتك أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلا .. قال : أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات .

فضل أهـــل المدينة

أهـــل المدينة جيرة رســـول الله وعمـــــار مسجده وســـــكان بلده والمرابطون فى حـــرمه متى استقاموا وصلحوا كانوا أعلى الناس قـــدرا ووجب احترامهم ولزمت محبتهم وقد حـــذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايذائهم فقال لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء ودعا لهم بالبركة فى أرزاقهم فقال اللهم بارك فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم .

أولادنـــــــــا

غضب معاوية مرة على ابنـــه يزيد فارسل الى الاحنف بن قيس ليساله عن رايه فى البنين فقال : ثمـــار قلوبنـــا وعمـــاد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وســـماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم فانهم يمنحونك ودهمويحبونك جهدهمولا تكن عليهم ثقيلا فيمـــلوا حياتك ويحبوا وفاتك ..

فقال معاوية : لله انت يا احنف لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبى ..

دعــاء البيت

اللهم أنت السلام ومنك السـلامحينا ربنا بالسلام اللهم زد هـذا البيت تعظيما وتكريما ومهابة ، وزدمن حجه واعتمره تكريما وتشريفـا وتعظيما وبـرا .

(حديث صحيح)

عـدد المسلمين

بلغ عدد المسلمين فى العـالم (٧٣٢ر٩٨٦ر٠٠٠) وذلك نتيجـة احدث احصاء وينتظر أن تصـدر احدى الهيئات الاسلامية بحثا شاملا فى هذا الموضوع يتناول عـدد المسلمين وعدد السـكان الاجمالى واللغات الرسمية ونسـبة المسلمين الى عدد السكان الاجمالى .

بـر وادب

جـاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد أن يكتب الى ابيه كتابا يخبره بوصوله فلم يجد أحدا يعرفه فانحدر بالكتاب الى ابيه وقال : كرهت ان يبطىء عليك خبرى ولم اجد احدا يجىء بالكتاب فجئت انا به ثم دفعه اليـه .

زوجهـا

روي ان رجلا اصابت اخته فاحشة فامرت الشفرة على ادراجها ــ حاولت الانتحار ــ فادركوها فداووها حتى برات ثم ان عمها انتقل باهله الى المدينة فقرات القرآن فنسكت حتى صارت من انسك نسائهم فخطبها بعض الناس من عمها وكان يكره ان يغش الخاطب كما كان يكره ان يفشى على ابنة اخيه ..

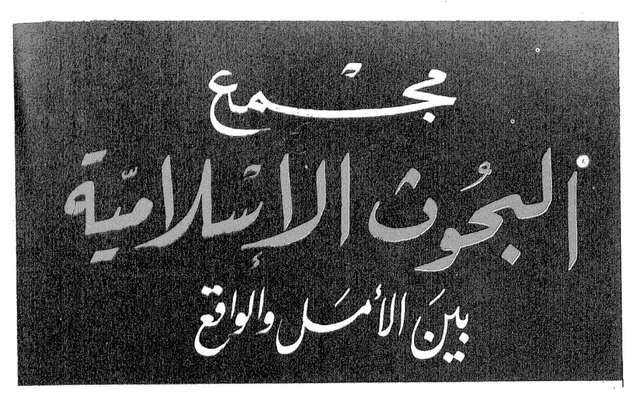
فاتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر له ، فقال عمر ــ لـو افشيت لعاقبتك ، اذا اتاك رجل صالح ترضاه فزوجها ..

جحـا

جحا اسم لا ينصرف لانه معدول من جاح مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحوا اذا رمى ويقال حيا الله جحوتك اى وجهك .

طلحة الطلحات

هو طلحة بن عبيد الله التيمى من الصحابة ومن المهاجرين الاولين ومن العشرة المسمين للجنة ويكنى أبـا محمد ويقال له طلحة الخير وطلحـة الفياض رضى الله عنه .



للاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

لا شك أن مجمع البحوث الاسلامية مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية المعاصرة ، واذا كان من اللازم لتفهم حركة تاريخية معينة أو مظهر من مظاهرها أن نحاول التعرف على جذورها التى تضرب فى أعماق الماضى البعيد أو القريب ، فانه يكفينا فى هذا المقام أن نشير الى جذور هذا « المجمع » التى تمتد الى حلقات العلم التى انعقدت فى أرجاء المجتمع الاسلامى منذ ظهور الدعوة الاسلامية .

ولسنا هنا فى مقام الافاضة فى بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرناً ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين المجتمع ، أو بينها وبين الدولة ، أو بينها وبين الحضارة بوجه عام ، ولكنه يكفينا أن نلمح العلاقة الاضطرادية التى قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الاسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة فى ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بين الطرفين ترابط عضوى وثيق .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن نلاحظ حركة الجزر التى اصابت الحضارة الاسلامية إثر النزيف الطويل الذى كان من نتائج الحروب الصليبية — برغم ما احرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى — ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من خمول وتمزق إثر الغزو الاستعمارى الحديث ، وكان لنا — تبعا لهذه الملاحظات — أن نلاحظ ما صاحب ذلك كله من مظاهر التصور فى الحركة الفكرية الاسلامية بوجه عام .

واذا كانت حركة الجزر التى اشرنا اليها قد وصلت الى غايتها بوصول الاستعمار الاوربى الى عنفوانه فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار فى طور جديد ينذر ببدء زواله ، فانه من الملاحظ أيضا أن ذلك كان مصحوبا ببدء حركة اسلامية تحاول بعث العملاق الاسلامى من سباته ، وتضميد جراحاته ، ودفعه الى حيث يحتل مكانه اللائق به فى موكب التاريخ .

ولقد تمثلت إرهاصات هذه الحركة فى فكر الأفغانى ودعوته الى الجامعة الاسلامية ؛ كما تمثلت فى كتابات الكواكبى وأحلامه فى « أم القرى » ؛ وفى فلسفة محمد عبده وخططه فى التربية الاسلامية ، لكنها لم تتعد هذا النحو من التحرك النظرى ، وظلت فى إسار الدعوة والحلم ، الى أن ظهر مجمع البحوث الاسلامية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كنواة للتجمع الاسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الاولى على الطريق .

واذا كانت التربة التى ظهر فيها مجمع البحوث الاسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة بالعمل من أجل إثراء الفكر الاسلامى وربط الشعوب الاسلامية برباط وثيق يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فانه يلزمنا أن نشير الى أن المجمع لم يكن هو التجربة الاولى للازهر فى هذا المجال ، ولقد كانت له تجربة قريبة العهد ، تمثلت فى « هيئة كبار العلماء » التى حلمحلها المجمع ؛ وكانت شبيهة بالمجمع فى كونها الهيئة العلمية التى تتركز فيها قمة النشاط العلمى للازهر ، وإن زاد عليها المجمع فى اختصاصاته ، وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولا يفوتنا — لكى نستكمل صورة البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع — أن نعرب عن الرأى القائل بأن ظهور هذا المجمع إنما كان انحيازا لوجهة نظر ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الاسلامية ، أو الجامعة الاسلامية على وجه من الوجوه بظهور دراسات واسعة وأبحاث عميقة ، تشمل جميع أوجه الحياة الاسلامية ، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لهما فى صورة الممكن ، وترد على أعداء « النمط الاسلامى للحياة » الذين يدعون استحالته فى الحياة المعاصرة . . . وذلك ضد وجهة نظر مقابلة رات أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الاسلامية لا تتركز فى إجراء هذه الابحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العملى للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الاسلامية أسيرة له منذ وقت بعيد ، وبقدر ما تتركز فى التأثير على السلطة ، أو الاستحواذ عليها ، واستخدامها لمصلحة هذا التغيير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الاساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الاسلامية — وكما يتبين من اسمه — هو توجيه الهمة نحو إجراء البحوث والدراسات النظرية .

ومن هنا جاء فى قانون إنشائه الصادر عن مجلس الامة للجمهورية العربية المتحدة — إبان الوحدة بين مصر وسوريا — فى عام ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية ، أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعاون جامعة الازهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها . » .

ومن هذا المنطلق استهل مجمع البحوث الاسلامية نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت أوجه الفكر الاسلامى ، ومختلف نواحى الحياة الاسلامية ، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ، ليس فحسب على

ضرورة بعث « النمط الاسلامى للحياة » بل على إمكان هذا البعث ايضا .
وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك ــ باللغتين العربية والانجليزية ــ فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمر من مؤتمراته التى تعقد سنويا تقريبا ، وبلغت ستة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، ــ وربما يكون المؤتمر السابع قد تم انعقاده عند نشرها ــ واشتملت على دراسات فى : أصول التشريع ، والاجتهاد ، وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى الاسلام ، والمعامــلات المصرفية ، والتأمينات ، والزكاة ، والصدقة ، واستثمار الامــوال فى الاسلام ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بأنواع الاقتصاد المعاصر ، وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره ، ونظرة الاسلام الى العقوبات ، والعلاقات الدولية ، ومكانة المراة فى الاسلام ، وتنظيم الاسرة ، وتحديد النسل ، وتحديد أوائل الشهور العربية ، وعوامل انتشا رالاسلام ، وواجب المسلمين نحو القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلى، وموقف اليهود من الاسلام والمسلمين ، والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله .
كما تناولت هذه البحوث : العقيدة الاسلامية ، ودلائل إثباتها بين النصيين والعقليين ،
والقرآن والتربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع .
وتربية الشباب على مبادىء الاسلام .
وشخصية المسلم ،
وفلسفة الحرية ،
وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية واثرها فى رقى البشريــة .
والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .
ووظيفــة المسجد فى المجتمع المعاصر .
ووسائل المحافظة على القرآن الكريم ، ومنزلة السنة النبوية .
وحقوق الانسان فى الاسلام .
وإنه ليتبين من هــذه الاشارة العاجلة الى الموضوعات التى عالجتهــا مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من عام ١٩٦٤ ــ ١٩٧١ انها تمتد على افق واسع من جهات البحث فى الفكر الاسلامى ، واذا كانت هذه البحوث أو بعضها ــ فى راى البعض ــ لا يرتفع فوق مستوى النقد ــ سواء كان ذلك من ناحية أولويات البحث ، أم من ناحية العمق فيه ــ فلقد كان العذر واضحــا متمثلا فى العجلة التى اضطر اليها المجمع إزاء الالحاح الذى لم يكن لــه أن يتجاهله ، والذى تمثل فى مطالبة الراى العام له بأن يقدم إنتاجه العلمى إثر إنشائه مباشرة ، الامر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الاخذ بــه فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمــر البحوث فى أطوار : من العرض على الأروقــة ، ثم الصعود بها الى اللجان الاساسية ، ثم الى مجلس المجمع الذى يضم أعضاءه والذى ينعقــد مرة كل شهر ، ثم ينتهى بها الامر بعد ذلك الى ان تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، لتنبثق عنها القرارات والتوصيات وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة والتدقيق والتمحيص وتبادل اوجه النظر .
واذا كانت ظروف المجمع فى سنواته الاولى اقتضته ان يسلك غير هــذا السبيل ، فلقد كان ذلك ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع ــ من واقع

مناقشاته وبحوثه التى طرحها فى مؤتمراته الاولى ــ على الخطة العلمية التى ينبغى عليه أن يضعها ، وأن يشغل بها قاعدته من الأروقة واللجان ، ومن ثم كان المسلك الذى اضطر اليه هو المدخل الواقعى الى العمل المنظم الذى أشرنا اليه سابقا .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن ننبه إلى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الاسلوب المنظم للعمل ، وكان حريصا على الانتقال اليه فور تمكنه منه ، كما كان حريصا على استغلال ظروف سنواته الاولى واستخدامها من اجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات التى أثمرتها مؤتمراته الاولى ، وقد تمكن المجمع من وضع هذه الخطة ، وكلف أروقته ولجانه بالعمل فى إنجازها ، لتكون بعد ذلك محل الدراسة فى مجلسه الشهرى ، ثم فى مؤتمره السنوى .

وبذلك فإن المجمع لا يكون قد تغلب على ظروف نشأته وما صاحبها من تعجل ، ووضع قدمه على الطريق الصحيح فحسب ، وإنما يكون قد اكتسب من واقع هذه الظروف ميزة أن تكون خطته العملية المطروحة أمام الأروقة الفرعية واللجان الاساسية منبثقة عن مؤتمره ، فضلا عن أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان متكونة من أعضائه ، يتفرع عن كل منها عدد من الاروقة أو اللجان الفرعية التى تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الاعضاء وهذه اللجان الاساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، وإحياء التراث الاسلامى ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة .

كما تكونت لجان ذات مهام معينة او مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التى تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » و « فى سبيل حوار اسلامى مسيحى » ، ولجنة وضع دائرة المعارف الاسلامية .

وقد جاء فى خطة اللجان الاساسية مجموعة من الموضوعات الرئيسية الهامة التى لا شك أنها تشغل بال المسلمين وقادتهم ، فضلا عن أن الوصول فيها ــ أو فى بعضها ــ الى حل أو نتيجة من شأنه أن يساعد المجتمعات الاسلامية فى التعرف على طريق المستقبل .

ومن أهم هذه الموضوعات التى نود أن نضعها تحت نظر القارىء :

وضع تعليق علمى بأقلام الثقات المتخصصين على ما يكون فى كتب التفسير من إسرائيليات لبيان وجه الحق فى موضوعها .

وضع قاموس موسوعى للقرآن الكريم .

الكتابة فى القراءات وجمع القرآن ودحض ما يدور حول ذلك من دراسات منحرفة وشبهات .

وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية .

جمع الاحاديث التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، والعمل على تحقيقها وشرحها .

وضع خطة عامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر تلتزم بها مؤسسات الدعوة ، وتقوم على أساس دراسة وسائل وخطط التبشير المضاد للاسلام ، ودراسة العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام تاريخيا ، ودراسة البيئات الثقافية فى العصر الحاضر من حيث استعدادها للتجاوب مع الدعوة الاسلامية .

وضع دراسة تصنيفية وتقويمية للتراث الاسلامى ووضع أولويات فى

عملية إحياء هذا التراث ، واعتماد قوائم لهـذه الاولويات فى مختلف أنـواع المعارف والفنون الاسلامية .

دراسة أنواع التعامل الحديث ، فى التأمينات ، والمعامـلات المصرفية ، وأنواع الاستثمار .

تقنين الشريعـة الاسلامية .

دراسة البيئات الاسلامية المعاصرة من نواحيها المختلفـة : الاحصائية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية .

دراسة المقومات الثابتة والمتطورة للحضارة الاسلامية .

دراسة التحديات والانحرافات الفلسفية والعقيدية التى يواجهها الاسلام فى العصر الحاضر ، ومواجهتها بالتفنيد والرد .

دراسة العلاقة بين الاسلام والعلم ، وبين الاسلام والعقل .

ودراسة دور التصوف الايجابى فى اعادة بناء المجتمع الاسلامى .

دراسة قضايا علم النفس والاجتماع والتربية المعـاصرة ذات الصـلة بالنواحى الاخلاقية والدينية .

هذه هى الخطة العلمية التى وضعها المجمع ووكل الى أروقته ولجانـه العمل على تنفيذها .

وهنا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بانجاز خطته .

فهو من ناحية عليه أن يهيىء لاعضائه الاصليين ظروفا أنسب لبذل الجهد ، والعمل المثمر .

وفى هذا الشأن فان المجمع وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها لاعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الاشراف عليها . واذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوحت — أو هى من شأنها أن توحى — برمزية العضوية ، فان من الثابت أن الاعضاء لم يقفوا عند هـذا الحد ، بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل الثناء والشكر العميقين دينا فى عنق الامة الاسلامية واجب الاداء لهم . الا أن المطلوب بمقتضى الخطة الموضوعة هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الامـر الذى يقتضى — كما قدمنا — إعادة النظر فى توفير الظـروف المناسبة ، وهى فى الامكان .

ومن ناحية أخرى فإن على المجمع أن يوفر نظاما للعمل يكفل قيـام علاقة وثيقة مرنة — فى نفس الوقت — بين أعضائه الأصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى أروقته ولجانه الفرعية لتنفيذ خطته العلمية .

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن استبدال النظام القائم الذى يقضى بأن تعرض الأعمال العلمية على مستويات العمل بكل تفصيلاتها : فى الأروقة أولا ، ثم فى اللجان الأساسية ، ثم فى المجلس ، ثم فى المؤتمر . . يمكن استبدال هـذا النظام بنظام آخر شبيه بنظام البحث العلمى فى الجامعات ، بمعنى أن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقـوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والإشراف على تنفيذه ، على أن يقدم إلى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره وإقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون، ثم يقدم إلى لجنته مجتمعة تقريرا علميا مفصلا عما تم إنجازه مصحوبا بالرأى فيـه . ثم يرفع الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل إلى مجلس المجمع . واذا كان

للأمـــر خطورته التى يقدرها المجلس فله أن يأمر برفع تقرير عنه إلى مؤتمـــر المجمـــع .

وبذلك يتحقق الاتصال بين المستويات المختلفة فى المجمع ، كما يتحقق لهذا الاتصال المرونة اللازمة ، وتحدد فيه المسئوليات ، ويبتعد به عن المناقشات التى تتـــوه فى التفصيلات ، ولا تعرف كيف تنتهى .

ومن ناحية ثالثة فإن على المجمع أن يهيىء الظروف المناسبـــة التى تكفـــل لأعضائه الأصليين من خارج جمهورية مصر العربية المشاركة الفعلية فى تقديم خبرتهم وجهودهم ونشاطهم من أجل تنفيذ خطته العلمية ، بدلا من الاقتصار — كما هو الوضع الحاضر — على تقديم البحوث التى يلقيها بعضهم فى المؤتمرات الســـــنوية .

وفى هـــذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالاشراف على إنجـــاز اجـــزاء من هذه الخطة ، فى بلادهم ، وإتاحة الفرصة لهم للاستعانة بمن يقترحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون فى بلادهم ، الأمر الذى يحقق للمجمع نطـــاقا أوســـع فى اختيار معاونيه ، والحصول على الخبرات المتنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث فى اروقة المجمع ولجانه التى دلت على حاجة المجمع الى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطـــاق العالم الاسلامى ، مسالة تقنين الشريعة الاسلامية ، ومسالة وضـــع موسوعة مفهرسة للحديث النبوى ، ومسالة إجراء دراسات ميدانية عن البيئات الاسلامية المعـــاصرة .

ففى موضوع تقنين الشريعة الاسلامية ، ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بفقهـــاء المذاهب الاسلامية التى لا وجود لها فى نطاق جمهورية مصر العربية، والتى يوجد الكثير من فقهائها فى أنحاء العالم الاسلامى .

وفى موضوع الموسوعة المفهرســـة للسنة النبوية ظهرت الحاجة أيضا إلى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار إليهم فى بعض البلاد الاسلامية إلى جانب اخوانهم من علماء مصر .

وفى موضوع الدراسات الميدانية عن البيئات الاسلامية المعـــاصرة ، ظهرت الحاجة إلى علماء متخصصين ينتمون إلى تلك البيئات المختلفة .

وإذا كان المجمع فى هذه الموضوعات لم يقدم بعد الكثير من ثمرة عمله فإننى أعتقد أن السبب فى ذلك يرجع إلى انه يخطو نحوها بخطوات ثابتـــة متأنية ، لا تفسدها العجلة التى من شأنها أن تفسد العمل فى مثل هـــــذه المشروعات العلمية الجليلة .

وإنه لمن الثابت أن الدراسات التمهيدية التى تسبق البـــدء الفعلى فى إنجـــاز مثل هـــذه المشروعات ينبغى أن تنـــال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهـــات النظـــر ، الامر الذى تستحق من اجله كل وقت يبذل ، بشرط موالاة العمل ومواصلة الجهد ، وذلك لضمان البداية الصحيحة ، وتجنب مـــزالق الطريق والتواءاته المختلفة .

وفى هذا الصدد فإننا نرجو أن يأتى الوقت الذى تظهر فيه للقراء هذه الدراســـات الأولية التمهيدية ، فهى فى حـــد ذاتها لا تقل أهمية وثراء عن المشروعات العلمية التى يقصد بها إليها ، واخص بالذكر هنـــا ما دار من بحوث ودراســـات حول خطة العمل فى تقنين الشريعة الاسلامية ، ولعلها أن تظهر فى مقدمة ما يطبع من هذا التقنين .

وإذا كان هذا شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ، أو فى بحوثه التى يشغل بها أروقته ولجانه ، فإنه من الملاحظ أن هذه البحوث كانت وسيلة المجمع إلى تقديم مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الاسلامية المعاصرة .

فقد تناولت هذه القرارات والتوصيات : القضايا السياسية ، والتشريع الاسلامى ، والدعوة الاسلامية ، والتربية الاسلامية وتوثيق الروابط بين الشعوب الاسلامية ، ومواجهة التيارات المضادة للاسلام ، وإحياء التراث الاسلامى ، والمشكلات التى تواجه المجتمع الاسلامى المعاصر ، واللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والاسلام والعلم ، والاسلام والحضارة ، والتوجيه الاسلامى العام . وإنه لمن الملاحظ أن اصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات :

فهو من ناحية ، وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مقيدا بأصول مقررة فى الدين الاسلامى : تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القرارات التى يمكن أن تصدر عن مجمع آخر من المجامع التى عرفها التاريخ فى غير الأمة الاسلامية ، ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن إرادته المطلقة ، وإنما ينبغى أن يكون واضحا فى قراراته ما ترتكن إليه من أصول الشريعة الاسلامية ، ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خلفية لازمة لشرح قراراته ، وبيان حق المجمع فى إصدارها .

وهو من ناحية أخرى — وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مرتبطا بجبهة عريضة من الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية — كان عليه لا أن يصدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة فحسب ، بل كان عليه فضلا عن ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضوء ظروفها الخاصة ، وأن يمتنع عن إصدار القرارات والتوصيات التى تعبر عن جهة بعينها ويمكن أن تؤول تأويلا لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خدمة الفكر الاسلامى النقى الخالص .

ومن ناحية ثالثة فقد كان عليه أن يقتصد فى إصدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها إلى التنفيذ فى وقت قريب ، وليس هناك حاجة ملحة إلى اعلانها ، وأن ينتظر بها إلى وقتها المناسب ، ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام ، وليوفر لها — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية .

والى هذا الحد فقد تبين لنا أن المجمع لم يكن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الاسلامية المتنوعة ، ولقد كان ذلك ملاحظا فى وظيفته كما كان ملاحظا فى تكوين أعضائه .

وفى هذا الصدد نصت المادة السادسة عشرة من قانون إنشائه على ما يأتى : « يتألف مجمع البحوث الاسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام ، يمثلون جميع المذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة . »

وإذا كان عدد أعضاء المجمع من خارج جمهورية مصر العربية لا يزال إلى

وقتنا هذا أقل من المستوى المطلوب ، فان المجمع حاول أن يسد النقص فى هذا المجال بحرصه على أن يدعو إلى مؤتمره السنوى عددا لا يقل عن خمسين من غير أعضائه من كبار علماء المسلمين وقادتهم من مختلف الدول والمجتمعات والبيئات الاسلامية .

إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من العلاج لا يحقق المستوى المطلوب فى العضوية ، وإذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء فى المادة السابقة لا يسمح بتحقيق التنوع الذى يقتضيه تغطية مختلف البيئات الاسلامية على تشعبها وتنوعها فى النواحى الثقافية والاقتصادية والجغرافية والسكانية والمذهبية فإنه من المؤكد أن قانون المجمع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الأعضاء غير محدود ، وذلك بتطبيق المادة السادسة والعشرين التى لم تطبق بعد ، والتى تنص على أن « يختار مؤتمر المجمع ... أعضاء مراسلين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم فى تحقيق أغراضه ... » وبذلك تنمو عضوية المجمع ، إلى الحد الذى يسهل له القيام بمهمته على الأفق الواسع للأمة الاسلامية .

وفى سبيل تأكيد عالمية المجمع فإنه لا يزال أمامه أن يضع أسلوبا مناسبا للتعاون بينه وبين الهيئات الاسلامية المماثلة أو الشبيهة به فى بعض البلاد الاسلامية ، فى المملكة العربية السعودية ، أو فى الجمهورية العربية الليبية ، على سبيل المثال ، وذلك من أجل تحقيق التناسق والتكامل بين العاملين فى مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة ، ولعل الظروف تسمح بدراسة هذا الموضوع فى المؤتمر القادم للمجمع .

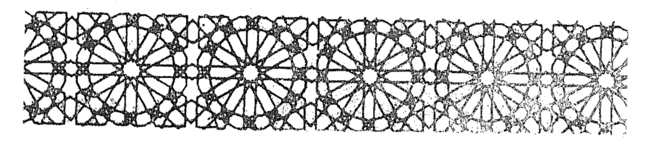
وأخيرا فإن الأمانى الضخمة المعقودة على مجمع البحوث الاسلامية ، والتى تماثل فى حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيام الدولة الاسلامية الحديثة لا ينبغى أن تتحول فى ثقلها إلى صخرة شاهقة نقصم بها ظهر الوليد الجديد ، ولا أن تتحول فى حرارتها إلى لهب حارق نقطع به على السالكين الطريق ، وإنما ينبغى أن تكون الزاد والضوء ، نحفز به على العمل ، وننير به الأمل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسئولية التى تصدى لها المجمع ، أن يدركوا أنه لم يسبق لجماعة علمية فى التاريخ الاسلامى أن تعرضت لمثل مسئوليته ، فقد كانت تلك الجماعات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والإيمان ، أما مجمعنا الوليد فإنه لتدمى أقدامه لبعد الشقة بين تلك الأطراف جميعا ، وإنه ليستحق منا أن نحوطه بكل الرعاية ، وبكل المحبة ، وبكل الإخلاص ، وأن ننتصر له بتثبيت أقدامه على طريق الله .

وبالله التوفيق .

من المعارك الخالدة في تاريخ الإسلام :

موقعة

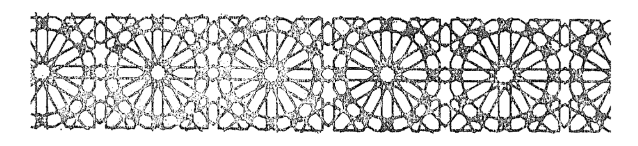




في عام ٦٤٥ هـ توفى السلطان الكامل بـ (دمشق) ، وتولى عرش (مصر) من بعده ابنه الملك العادل ، غير أنه لم يستقر في الحكم أكثر من سنتين ، بسبب اسرافه في اللهو والتبذير ، مما حمل الامراء على خلعه ، وتوليه أخيـه الصالح نجم الدين ، وكان أول ما فعله عقب توليه الحكم هو اعادة الامن الى البـلاد ، وانتشار الطمأنينة والاستقرار ، وقام بأعباء الحكم وتدبير شئون الدولة علـى الوجه الأكمل .

وكان الجيش الاسلامى فى عهده يضم فرسان المماليك ضمن صفوفـه ، الذين أكثر نجم الدين من شرائهم حتى وصل عددهم الى اثنى عشر الف مملوك ، فبنى لهم الثكنات فى (جزيرة الروضة) ، وأطلق عليهم اسم (المماليك البحرية) وصارت مهارتهم فى الفروسية وفنون الحرب ، وشجاعتهم فى القتال مضرب الامثال .

الموقعة التي فشلت بسببها الحملة الصليبية السابعة وتم فيها أسر ملك فرنسا في دار ابن لقمان



للأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

وقد اضطر الصالح نجم الدين للسفر الى بلاد (الشام) فى عام ٦٤٧ هـ لقمع بعض الاضطرابات التى حدثت هناك ، وبينما هو فى (دمشق) جاءته الاخبار تترى عن حملة صليبية متأهبة للابحار الى « مصر » ، وعلى الرغم من شدة المرض الذى كان قد الم به فقد قرر العودة الى « مصر » سريعا وفى الحال ، ليدافع عن بلاده ، ويدرأ عنها شر الغاصب المعتدى ، وحمله رجاله فى محفة حتى وصلوا به الى بلدة « أشموم طناح » ، التى جعلها معسكره الرئيسى .

ولم يكد نجم الدين يصل الى بلاده حتى انهمك فى اعداد وسائل الدفاع ونسى ما به من مرض ، ولما كانت « دمياط » معرضة لهجوم الحملة المنتظرة ، فقد جعل كل همه فى تقوية حصونها ، وأخذ يوفر فى مخازنها أكبر قدر مستطاع من الاسلحة والمؤن للصمود فى وجه الاعداء اذا ما حاولوا حصارها ، ثم بعث

بالامير فخر الدين على راس قوة من الجيش لوقاية « دمياط » فى حالة حدوث الغزو المنتظر ، فعبر النيل بقواته ونزل على الضفة الاخرى غرب « دمياط » .

وأخذت « مصر » تستعد بكل قوتها وطاقتها لاستقبال الحملة ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه الحملة يتم تجمعها واحتشادها فى ميناء (مرسيليا) ب (فرنسا) ، تحت قيادة الملك لويس التاسع ملك (فرنسا) ، وكان لويس قد اصيب بمرض خطير ، فنذر اثناء مرضه أن يقوم بحملة صليبية ان شفى من مرضه ، وعندما تم شفاؤه اقسم أن يوفى بنذره .

ولما كانت « مصر » فى ذلك الوقت لم تزل مركز المقاومة فى وجه الصليبيين فى الشرق الاسلامى ، وقاعدة كل هجوم موجه اليهم ، فقد عزم لويس التاسع وصمم على غزوها ، والقضاء على قواتها ، حتى يكسر شوكتها التى كانت دائما تؤلم جنوبهم ، وتقض مضاجعهم ، ولا تذيقهم طعم الهدوء وراحة البال .

وتحركت الحملة مبحرة من ميناء (مرسيليا) متخذة طريقها صوب « مصر » ، بعد استعدادات دامت ثلاث سنوات كاملة ، وعرجت وهى فى طريقها على جزيرة (قبرص) حيث قضى الصليبيون فيها ثمانية أشهر ، حصلوا خلالها على المزيد من المساعدات ومواد التموين ، الى جانب المساعدات البشرية التى حصل عليها لويس التاسع من ملك (قبرص) وغيره من زعماء الصليبيين الذين وفدوا عليه من « عكا » ولعله تراءى للويس التاسع أنه بحملته هذه سوف يغسل عار الهزيمة التى لحقت بالحملات السابقة ، خصوصا حملة « جان دى بريين » ، والفرسان الذين سحقهم صلاح الدين الايوبى وخلفاؤه .

وقد عقد لويس التاسع مجلسا عسكريا ضم الامراء وكبار قواد الجند ، لأخذ الرأى فى اتجاه الحملة ، والى اين سيكون ، واستقر رأى المجتمعين على مهاجمة « دمياط » .

وابحرت الحملة من ميناء « ليماسول » فى (قبرص) متجهة صوب السواحل المصرية ، فى عدد يبلغ ٢٨٠٠ فارس ، عدا المشاة والبحارة ، و ١٨٠٠ سفينة (١) اقلعت بالحملة من (قبرص) ، ووصلت الحملة الى مصب النيل قرب « دمياط » ولم يجد الصليبيون أية صعوبة أو مشقة فى النزول الى الماء الضحل قرب الشاطىء بفرسانهم ومشاتهم .

ولم يحاول لويس التاسع أن يستفيد من الاخطاء التى وقعت فيها حملة (جان دى بريين) ملك (القدس) فيقرر انزال قواته عند (دمياط) ليتبع بذلك نفس الطريق الذى سلكه سلفه ، بدون أن يتعظ بالهزيمة المرة التى لحقته ، والتى لم يكن قد مضى على انقضائها أكثر من ثلاثين سنة .

وما ان وطئت أقدام لويس التاسع أرض « مصر » حتى بدأ بحرب الاعصاب ، وأتبع أسلوبا أقرب ما يكون شبها بأسلوب « التتار » فى ذلك العصر ، فأرسل الى الصالح نجم الدين كتابا يفيض بالتحدى والوعيد ، ويدعوه فيه الى الاستسلام ، ويخبره بأن مسلمى الأندلس « يحملون الينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . فلو حلفت لى بكل الايمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول اليك ، وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى بملء السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون اليك بأسياف القضاء » .

وقد وصلت هذه الرسالة الى الصالح نجم الدين وهو يعانى من آلام مرض الموت ، فاغتم واغرورقت عيناه بالدموع ، وكتب الرد الى لويس التاسع ينـدد بغروره ، ويذكره بما فعله المسلمون بالصليبيين : « فلو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وأخرابنا منكم ديار الاواخر والاوائل ، لكان منك أن تعض على أناملك من الندم » .

اول صدام :

وعقب نزول الصليبيين من سفنهم تقدموا جنوبا على الضفة الغربية للنيل، فاصطدموا بقوة الامير فخر الدين غرب « دمياط » ودارت معركة بين الفريقين على رمال الشاطىء ، اضطرت فيها خيول المسلمين الى خوض مياه البحـر ، ولكن الصليبيين تفوقوا فى تلك المعركة بكثرة عددهم ، ولم يكد الظلام يحل وينتشر سواده حتى رأى الامير فخر الدين نفسه مضطرا الى عبور النيل ومعه بقيـة رجاله الى الضفة الشرقية ، وانطلقوا مسرعين الى (أشموم طناح) ، وفى عجلة انطلاقهم نسوا أن يقطعوا الجسر الذى يربط « دمياط » بالضفة الغربية للنيل ، فانقض عليه الصليبيون واحتلوه ، فانفتح بذلك الطريق أمامهم الى « دمياط » .

ولم يلبث أن استولى الرعب على أهل « دمياط » حينما رأوا قوة الأميـر فخر الدين تترك مواقعها وتتخلى عن وقايتهم ، حتى ذعـروا ورعبوا فهجـروا مدينتهم الى (أشموم طناح) بعد أن أشعلوا النار فى سوق المدينة ، وعندما أطل الصباح بنوره وجد الصليبيون أبواب « دمياط » مفتوحة علـى مصراعيهـا ، فخشوا أن يكون فى الامر مكيدة وكمين نصبه المسلمون لهم ، فتمهلوا حتى تحققوا من خلوها ، فدخلوها بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها مـن الاسلحة والآلات الحربية ، والذخائر والامتعة ، والتموين والاموال ، وبذلـك سقطت « دمياط « فى أيدى الصليبيين بعد مناوشـة بسيطة ، مع أنها قـد استعصت عليهم ثمانية عشر شهرا فى عهد الملك الكامل ، ولم تسقط وقتها الا تحت تأثير الجوع والاوبئة .

وما كادت أخبار سقوط مدينة « دمياط » فى أيدى الصليبيين تصل الـى أسماع نجم الدين المريض فى « أشموم طناح » حتى انتفض من الالم واشتـد حنقه ، وأمر باعدام خمسين أميرا ممن كانوا ضمن حامية « دمياط » جزاء تركهم لمواقعهم وتخليهم عن الدفاع عن المدينة ، واضطر ازاء هذا الموقف الحرج الـى الانسحاب بقواته الى « المنصورة » وشرع الجنود على الفور فى ترميم « دور المنصورة » وأبنيتها المعدة لسكنى الجنود ، وتقوية السور المحيط بها ، وخصوصا الجزء المطل منه على النيل ، ثم وفدت السفن الاسلامية تحمل المقاتلين من جميع أنحاء البلاد ، وامتلأت المدينة بالاسلحة والمعدات والسفن الحربية والمؤن .

ولكن القدر لم يمهل الصالح نجم الدين حتى يرى بعينيه ما تسفر عنه هذه الحملة الصليبية ، فوافاه أجله المحتوم فى ليلة النصف من شعبان ، وانطفأت بذلك شعلة حياة هذا السلطان الباسل الذى قاد قواته رغم شدة مرضه ، وظل صامدا فى كفاحه لا يكل ولا يهن حتى أرغمه الموت على التخلى عن مكانه .

ولا شك فى أن وفاة الصالح نجم الدين فى تلك الظروف الحرجة كانـت خسارة كبرى ، وذلك لعدم وجود من يحل محله بسرعة فى حكم البلاد ، وفـى مواجهة الخطر الناجم عن الغزو الصليبى .

وقد خشيت زوجته شجرة الدر من اذاعة خبر وفاته ، فحملت جثته فى تابوت ودفنته سرا فى قلعة الروضة ، ثم استدعت الامير فخر الدين ، والطواشى جمال الدين وكانا موضع ثقتها ، فأخبرتهما بوفاة السلطان وطلبت منهما كتمان الامر ، والاشراف على تدبير شئون الدولة، وارسال الفارس اقطاى كبير المماليك البحرية لاحضار ولى العهد المعظم « توران شاه » بسرعة من حصن « كيفا » الذى يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة بالقرب من « ديار بكر » ، وفى نفس الوقت سارت الاستعدادات الخاصة بالدفاع سيرها الطبيعى ، واستمرت الرسائل والمراسيم تخرج بتوقيع السلطان المتوفى وكأنه على قيد الحياة .

ولم يظهر على الصليبيين فى أول الأمر ما يدل على اعتزامهم القيام بعملية تقدم الى أبعد من « دمياط » فقد ظلوا ساكنين داخل المدينة مدة ستة أشهر لم يقوموا خلالها بأى شىء ، وانصرف جنودهم الى اللهو والمجون ، وبذلك أتيحت للمسلمين فرصة ذهبية لتعبئة قواتهم ، وتحسين مواقعهم الدفاعية ، واعداد الموانع ، ووضع العراقيل على طول طريق التقدم .

وعلى الرغم من أن شجرة الدر قد بذلت أقصى ما فى استطاعتها ، وحاولت بكل جهدها وطاقتها أن تخفى خبر موت الصالح نجم الدين الا أن نبأ وفاته وصل الى مسامع الصليبيين فأفاقوا من خمولهم ، ودب النشاط والحماس بين صفوفهم ، ورأى لويس التاسع أن يسرع بالهجوم ليستفيد من الظروف السيئة التى أمست فيها البلاد ، وليتمكن من انزال ضربته قبل وصول الملك المعظم « توران شاه » فتحرك الجيش الصليبى من « دمياط » بعد أن اختار لويس التاسع للزحف على « القاهرة » طريق الدلتا ، وهو طريق كثير الترع والقنوات ، وسارت الى جانبهم بعض سفنهم فى النيل تحمل المؤن ، وكل ما يحتاجون اليه ، ووصلوا الى مدينة « فارسكور » فاستولوا عليها واحتلوها ؛ ثم واصلوا منها زحفهم وتقدمهم حتى أصبحوا على مقربة من مدينة « المنصورة » وهناك اصطدمت قواتهم بأول مانع مائى ، وهو بحر (أشموم) الذى كانت ترابط على ضفته المقابلة لهم القوات الاسلامية .

المواجهة :

وقف الجيش الاسلامى فى مواجهة الجيش الصليبى ، واحتشدت قوات كل من الطرفين على ضفتى بحر (أشموم) وأخذ كل فريق يتأهب ويستعد لقتال ثابت طويل الأمد ، فحصنت المعسكرات بالاسوار والمتاريس ، وحفرت الخنادق ونصبت المجانيق وقاذفات الاحجار ، ولم يقتصر التأهب والاستعداد على الناحية البرية فقط ، بل ومن الناحية البحرية أيضا ، فاحتشدت سفن الاسطول الاسلامى فى النيل أمام « المنصورة » ، ووقفت فى مواجهتها سفن الاسطول الصليبى فى الشمال .

وابتدأ القتال بين الطرفين ، واشتعلت نيران المعركة ، واشتد التراشق ليلا ونهارا عبر بحر « أشموم » ، حتى منيت القوتان بخسائر فادحة ، وعندما أدرك الصليبيون فداحة خسائرهم ، وأنهم لو استمروا على هذا الشكل من القتال الذى يطلق عليه فى الحديث حرب الاستنزاف لكان فى ذلك نهايتهم ، فعزموا وصمموا على عبور بحر « أشموم » بأى شكل مهما كلفهم ذلك من ثمن ، حتى يشتبكوا بالمسلمين وجها لوجه ، فبذلوا عدة محاولات مضنية لكى يتسنى

لهم بناء جسر كبير تعبر عليه قواتهم ، وهيأوا الحماية اللازمة للقائمين ببنائه ، فأقاموا عدة أبراج خشبية مرتفعة ، ووقف عليها رماة النبل وحملة القسى المهرة لصب وابل من القذائف على المعسكر الاسلامى ، ليمنعوا رماته من عرقلة عملية بناء الجسر ، ولكن المسلمين أثبتوا براعتهم ومهارتهم فى القتال ، ونجحوا نجاحا عظيما فى افساد كل محاولات الصليبيين فقد كانوا يحفرون حفرا واسعة عميقة فى ضفة النيل فى ناحيتهم ، فتمتلىء بالمياه المحجوزة من الجسر تلك الحفر ، فينشأ عن ذلك تيار سريع يتلف شاطىء النيل ، فينهار ما تم اقامته من الجسر .

ثم لم يلبث المسلمون أن فاجأوا الصليبيين باستخدام سلاح جديد رهيب ، أذهلهم وحطم أعصابهم وأضعف من معنوياتهم ، ففى احدى الليالى قذفوا معسكرهم من آلات قاذفة شعلات رهيبة من اللهب ، وكانت هذه الشعلات هى النار اليونانية المرعبة ، أروع آلات الهدم والدمار .

ويرجع اكتشاف هذه النار الى عهد الامبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فى القرن السابع الميلادى ، وقد استخدمها الرومانيون منذ اكتشافها ، واستطاعوا بواسطتها صد هجمات العرب على « القسطنطينية » سنة ٤٨ هـ ، وارتد على أثر ذلك الجيش والاسطول اللذان سيرهما معاوية ابن أبى سفيان الخليفة الاموى لاقتحام أسوارها ، ثم حاول معاوية بعد ذلك تجديد محاولته فى عام ٥٨ هـ ، فأرسل أسطولا ضخما حاصر « القسطنطينية » سنتين ولكن النار اليونانية فتكت بالقوات الاسلامية ، وأوقعت فى صفوفها الخلل والاضطراب .

وقد نجح الرومانيون فى ابقاء سر هذا السلاح الخطير الرهيب فى طى الكتمان قرابة أربعمائة عام ، غير أن العرب اكتشفوا سره فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فأصبح فى أيديهم سلاحا فاتكا أوقعوا به الرعب فى صفوف أعدائهم .

وينسب فضل اختراع هذه النار الى « كالينوس » البعلبكى ، الذى نقلها الى « القسطنطينية » ، وهى مزيج من الكبريت وبعض الصموغ والدهون ، يطلق من اسطوانة نحاسية على هيئة سائل مشتعل ، أو على هيئة كرات مشتعلة ، وكان تأثير هذه النار بالغ الأثر كبير الهول على معسكر الصليبيين عندما أخذ المسلمون يصبون عليها حممها .

وقد أدى رمى المسلمين لمعسكر الصليبيين بهذه النار الى تدمير الاسوار والابراج الخشبية التى أقامها الصليبيون على ضفة بحر « أشموم » ، وأصبح من المتعذر عليهم بناء أسوار وأبراج غيرها ، لأن كل محاولة حاولوها لاقامة أبراج جديدة كانت تقابل من المعسكر الاسلامى بوابل من صواعقه الجهنمية ، فلا تلبث أن ينتشر فيها اللهب ويحيلها رمادا .

وقد امتلأت المراجع التاريخية بأخبار أعمال البطولات الفردية والجماعية التى قام بها بعض المسلمين ، اذ كانوا يكونون من بينهم فرقا خاصة تقوم بعبور النيل الى الجانب الآخر الذى فيه الصليبيون ، ويتحيلون فى اختطافهم بكل وسيلة ، فيقتلون ويأسرون ويرجعون الى قواعدهم سالمين .

وعلى هذا النحو دب اليأس والوهن فى قلوب الصليبيين ، وفتر حماسهم وقل نشاطهم عقب اصابتهم بهذه الكوارث الساحقة ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهم لعبور بحر « أشموم » بالفشل .

بداية النهاية :

وعندما رأى لويس التاسع أنه قد أصبح شبه محصور فى هذه المنطقة ، وأن أى أمل فى نجاح حملته هذه قد صارت نسبته ضئيلة للغاية ، وهو لا يستطيع عبور النيل الى « المنصورة » وقوات المسلمين أمامه على الضفة الأخرى للنيل تعرقل كل محاولة يقوم بها للعبور ، والاسطول الاسلامى ينقل جنودا جددا ، والمسلمون تكتمل استعداداتهم يوما بعد يوم ، ازاء كل هذا لم يجد لويس التاسع أمامه الا أن يعقد مجلسا عسكريا لتبادل الرأى والمشورة فيما يجب عليهم أن يفعلوه لانقاذ موقفهم الذى أصبح حرجا ، وعقد المجلس ، واستقر رأى المجتمعين على أن يعبر لويس التاسع وأخوته الثلاثة ، والفرسان والخيالة الصليبية بحر « أشموم » عن طريق مخاضة تسمى مخاضة « سلمون » فى ثلاث وحدات كبرى .

وتأهب الصليبيون خلف المخاضة ، وأخذ فرسان المقدمة فى العبور ، ويتولى قيادتهم الكونت « روبرت دى ارتوا » شقيق لويس التاسع ، وقد فوجىء المسلمون مفاجأة كبيرة حينما ظهر فرسان الصليبيين على ضفتهم ، وما أن علم الامير فخر الدين بعبور الصليبيين حتى أسرع على الفور فى الاستعداد والتهيؤ لخوض المعركة الفاصلة ، فجمع رجاله ووقف فى وجه الصليبيين ، وقاتل بشجاعة نادرة ، غير أنه لم يلبث أن وقع فى كمين واستشهد على الاثر ، وكان استشهاده خسارة كبرى فى تلك الظروف ، اذ تفرق الجنود يمينا وشمالا ، وكادت الهزيمة الكلية تلحق بالمسلمين .

وعندما رأى الكونت « دى ارتوا » تفرق الجنود وتشتتهم ارتكب حماقة كبرى ، اذ لم يشأ أن ينتظر عبور بقية الجيش الصليبى تحت قيادة لويس التاسع طبقا للخطة الموضوعة ، وانما أراد أن يتعقب المسلمين الى مدينة (المنصورة) أملا فى احراز انتصار سريع عليهم ، والانفراد بالمجد والظفر ، ولم يستمع الى أوامر مليكه بعدم الاقدام على هذه الخطوة لما فيها من مخاطرة قد تكون وخيمة العواقب ونتائجها سيئة ، فواصل الاندفاع بقوته الصغيرة نحو « المنصورة » ، وتمكن من اقتحامها بعد قتال قصير مع حاميتها ، وبذا تورطت المقدمة فى التقدم الى مدى أبعد مما فى استطاعتها وقدرتها ، ووجدت نفسها داخل شوارع « المنصورة » فى عزلة تامة عن قوتها الاساسية التى كانت وقتئذ لا تزال آخذة فى العبور بالقدر الضئيل الذى تسمح به المخاضة الضيقة .

وفى نفس الوقت كان المسلمون قد وجدوا قائدا جديدا خلفا للامير فخر الدين الذى استشهد ، وهو القائد بيبرس البندقدارى ، الذى رأى أن هذه المقدمة ليست سوى طليعة لزحف صليبى عام يتطلب الاحتياط لدفعه قبل وقوعه ، فجمع فلول الجيش ، ثم دبر خطة بارعة للقضاء على مقدمة الصليبيين ، وهذه الخطة تدل على مدى ما كان يتمتع به بيبرس من مقدرة حربية فائقة ، ومهارة عسكرية نادرة ، فقد قسم قواته الى قسمين ، وبعث بالقسم الاول الى خارج « المنصورة » ليحول دون أدنى اتصال بين قوات الصليبيين الاساسية وبين مقدمتهم التى فى داخل المدينة ، بينما رتب القسم الثانى فى كمائن متعددة داخل (المنصورة) .

دخل الكونت (دى ارتوا) مدينة (المنصورة) ، وانتشر الفرسان الصليبيون فى الشوارع والأزقة والدروب والحارات ، بحثا عن الاسلاب

والثروات والمذابح البشرية ، ولم يكد الكونت (دى ارتوا) يصل بقوته الى المقر السلطانى يطلب التسليم حتى أصدر بيبرس أوامره بتنفيذ الحركة التطويقية المتفق عليها بينه وبين قواد الكمائن ، فانقضوا عليهم كالسيل الجارف ، فأبادوا فريقا منهم وطاردوا الباقين حتى حاصروهم فى الأزقة ، فلم يستطيعوا القتال وهم على ظهور جيادهم ، ولم يتمكنوا من استعمال سيوفهم لضيق المجال ، وأخذ أهالى (المنصورة) يقذفون الفرسان الصليبيين بالطوب والاحجار والرمال المحماة فى النار من أسطح المنازل وشرفاتها ، حتى أبيدت تلك القوة التى لم ينج من أفرادها سوى أربعة أو خمسة فقط ، وكان على رأس القتلى الكونت (دى ارتوا) نفسه ، الى جانب عدد كبير من الامراء الصليبيين .

وقد جزع لويس التاسع أشد الجزع لتلك الصدمة التى لم يكن يتوقعها ، بيد أنه تمالك نفسه وأمر باتمام العبور بأسرع وقت حتى يتدارك الموقف ، وعندما تم العبور تصدى لهم الجيش الاسلامى واستبسل الجنود بعد انتصارهم العظيم على مقدمة الجيش الصليبى ، وقام بيبرس وجنوده بهجوم شامل على المعسكر الصليبى ، وقاد لويس التاسع المعركة بنفسه وأظهر عزيمة جبارة وشجاعة قوية ، فنظم جيشه تنظيما دقيقا ، وثبت فى المعركة ، مما جعل المسلمين يضطرون الى الارتداد نحو (المنصورة) فى المساء .

وعلى الرغم من شجاعة لويس التاسع وثباته الا أن موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءا بعد أن قلت المؤن ، وفقدوا نسبة كبيرة من فرسانهم ، وأصبح موقفهم حرجا للغاية من الوجهة التكتيكية ، ويضاف الى ذلك أن قواتهم التى أتمت العبور أصبحت مكشوفة الجناحين أمام القوات الاسلامية الرابضة أمامها ، والتى صار لديها التفوق الساحق فى العتاد والعدة والعدد .

وقد تفشت الامراض والحميات والأوبئة بين جنود الجيش الصليبى ، وعمت النكبة حتى صار لا يسمع بمعسكرهم سوى أنات الاحتضار أو صلوات الجناز ، وصارت الانظار لا تقع الا على وجوه صفراء يبدو الموت من أصحابها كقاب قوسين أو أدنى .

وفى هذا الوقت وصل السلطان (توران شاه) من حصن (كيفا) ووصل الى (المنصورة) ، حيث استقر بقصر السلطنة ، ووضعت شجرة الدر السلطة بين يديه ، ثم أعلنت رسميا وفاة الصالح نجم الدين ، فأدى وصوله الى ارتفاع الروح المعنوية عند المسلمين ، وعندئذ أدرك لويس التاسع أن الزحف على (القاهرة) قد أصبح من رابع المستحيلات ، وأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه ، وأن ليس أمامه الا أن يأخذ رجاله ويرجع من حيث أتى ، ففكر فى العودة الى (دمياط) ولكنه خاف من حدوث كارثة حربية أثناء انسحابه اليها ، فعملية الانسحاب فى مثل هذا الموقف ليست سهلة ، ولن يتركهم المسلمون ينسحبون فى هدوء ، بل سيتعرضون لمطاردة قاسية من الجيش الاسلامى قد تودى به وبحملته ، ولذلك تردد فى الانسحاب ، وظل الصليبيون فى معسكرهم يراودهم الأمل بين الحين والآخر فى معاودة الهجوم على مدينة (المنصورة) .

الموقعة :

وضع المسلمون خطة محكمة للقضاء على الجيش الصليبى المترنح بعزله فى مكانه ، وقطع خطوط مواصلاته مع قاعدته فى (دمياط) التى كانت ترد منها الامدادات عن طريق نهر النيل محملة على ظهر السفن ، وقد نفذ المسلمون خطتهم بصنع عدة سفن نقلوها مفككة على ظهور الجمال الى بحر (المحلة)

شمال بحر (أشموم) ، وأنزلوها فيه وزودوها بالمقاتلين ، وانضمت الى بقية سفن الاسطول الاسلامى ، وعندما جاءت السفن الصليبية من (دمياط) الى بحر (المحلة) فى طريقها الى القوات الصليبية تحمل الامدادات والتموين فاجأتها سفن الاسطول الاسلامى بالخروج من مخابئها ، فأحاطت بها من كل جانب بحركة تطويقية بارعة ، واستولت السفن الاسلامية على اثنتين وخمسين سفينة قرب مكان يعرف باسم (مسجد النصر) ، وكانت هذه السفن محملة بالمؤن والاسلحة والذخائر ، وأسر المسلمون جميع من كانوا فوق السفن وعددهم حوالى الف .

ولم يكف الاسطول الاسلامى عن شن هجماته على سفن التموين الصليبية القادمة من (دمياط) الا بعد نجاحه التام فى قطع هذا الطريق ، الذى كان يعد الطريق الوحيد لامداد الجيش الصليبى الذى يواجه (المنصورة) ، وتم بذلك عزله نهائيا عن قاعدته الاساسية فى (دمياط) وكان من أثر ذلك أن حلت بالجيش الصليبى مجاعة مروعة ، وغلت الاسعار غلاء فاحشا ، ولم يجد الصليبيون ما يسدون به رمقهم سوى أكل الاسماك النيلية ، والتغذى بجذور النباتات والحشائش ، ولما اشتد بهم الضنك فى النهاية ، لجأ لويس التاسع الى فتح باب المفاوضات مع المسلمين ، قبل أن يبدأ فى الانسحاب الذى أصبح أمرا لا مفر منه ، وبدأ مفاوضاته على أساس أن يترك الصليبيون (دمياط) وينسحبوا منها ، فى مقابل أن يأخذوا (بيت المقدس) وما أراد لويس التاسع بهذا العرض الذى قدمه الا أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيسترد (بيت المقدس) فى الوقت الذى يشعر فيه بضعفه وعجزه عن الاحتفاظ بـ (دمياط) فى يده ، ثم يضمن بعد ذلك انسحابا سليما مأمونا له ولجيشه من (مصر) بدون أدنى ضرر أو تعرض لمطاردة المسلمين ، ولكن عرض لويس التاسع جاء متأخرا وبعد فوات الأوان ، ولو أنه كان قد تقدم بعرضه هذا قبل ذلك ببضعة أشهر لكان وجيها ، ولأمكن للمسلمين أن ينظروا فيه ، على أساس أن يكفلوا له انسحابا مأمونا بدون التفريط فى (بيت المقدس) أما الآن وبعد ما أسفرت عنه الظروف والاحداث ، وما وصل اليه الموقف بالنسبة للفريقين ، فان (توران شاه) لم يتردد ولو للحظة واحدة فى رفض عرض لويس التاسع رفضا باتا .

ولم يجد الصليبيون للانسحاب بديلا ، خصوصا وأنهم أيقنوا أن استمرارهم فى البقاء بمعسكرهم معناه القضاء التام عليهم ، وفناؤهم عن آخرهم .

وبدأ الصليبيون يتراجعون نحو (دمياط) بحذاء الضفة الشرقية لنهر النيل ، فى عملية لا نستطيع أن نطلق عليها انسحابا بالمعنى المفهوم فى الحروب ، وانما كانت عملية هروب الى (دمياط) على حد تعبير ابن واصل المؤرخ الذى عاصر هذه الاحداث ، وعبر الصليبيون بحر (أشموم) على الجسر الذى أقاموه ، بيد أنهم وهم فى عجلة من أمرهم ارتكبوا خطأ جسيما كلفهم ثمنا باهظا ، اذ وقعوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الامير فخر الدين قبل ذلك ، فقد نسوا أن يقطعوا الجسر بعد أن أتموا عبورهم فوقه ، فأتاحوا بذلك للمسلمين فرصة كبرى ، فعبروا وراءهم يهاجمونهم من كل ناحية ومن كل اتجاه بلا هوادة أو استكانة ، وقد بذل حرس المؤخرة الصليبية جهودا جبارة فى سبيل وقاية انسحاب جيشهم الممزق ، وصد هجمات المسلمين العنيفة ، وأخيرا تمكنت جموع الصليبيين المنهكة القوى من الوصول الى (شارمساح) بين (المنصورة) و (دمياط) بما يشبه المعجزات .

ولم تكد مقدمة الجيش الصليبى تصل الى (فارسكور) حتى غلب المرض على لويس التاسع ومعظم رجال جيشه ، فى الوقت الذى أحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلا وأسرا .

وعند (فارسكور) دارت معركة ضارية عنيفة بين المسلمين والصليبيين ، حلت على أثرها الهزيمة الساحقة بالصليبيين ، وقد قتل فى هذه المعركة حوالى ثلاثين ألف مقاتل .

أسر لويس التاسع :

وفى تلك الاثناء كان لويس التاسع لا يستطيع أن يتحرك من شدة ما به من مرض ، فالتجأ الى قرية تسمى (منية عبد الله) شمال (المنصورة) ، وبصحبته نحو خمسمائة من الامراء والنبلاء ، وحمل الملك الى بيت ريفى من بيوت تلك القرية الصغيرة حيث لحق به أخواه .

وعندما أحاط المسلمون بالقرية أدرك لويس التاسع أن المقاومة لن تجدى شيئا ، ولن تعود عليهم بالنفع ، بل قد تضره ضررا شديدا ، فسلم لويس التاسع ورفاقه أنفسهم بعد أن أمنهم المسلمون على أرواحهم ، وقد نقل لويس التاسع فى الحال الى (المنصورة) على احدى السفن ، حيث سجن فى دار فخر الدين ابن لقمان رئيس ديوان الانشاء ، وعهد الى الطواشى صبيح بحراسته ، كما خصص له (توران شاه) من يقوم بخدمته ، ورتب له كل ما يحتاج اليه من مأكل ومشرب ، وبلغ عدد الاسرى أكثر من اثنى عشر ألف أسير .

وفى غمرة هذه الاحداث قتل (توران شاه) ، وتولت شجرة الدر مقاليد الحكم وأصبحت سلطانة على (مصر) ولعل أهم ما ترتب على مقتل (توران شاه) من تطور خطير فى الشرق الادنى هو سقوط الدولة الايوبية ، وقيام دولة المماليك البحرية فى حكم (مصر) و (الشام) .

ثم استأنف أمراء المماليك على الاثر مفاوضات الصلح التى كان قد بدأها (توران شاه) ، وبعد كثير من المحاورات نجح الفريقان فى عقد إتفاق يتلخص فى تسليم (دمياط) للمسلمين بكافة محتوياتها ، وعدم السماح للويس التاسع بالرحيل عن (مصر) الا بعد دفع فدية تبلغ أربعمائة ألف دينار ، اتفق على أن يدفع نصفها قبل أن يرحل عن (مصر) ويسدد الباقى عندما يصل الى (عكا) وضمانا لدفع بقية الفدية قرر المسلمون الاحتفاظ بجميع المرضى الذين يعالجون فى (دمياط) .

وعقب توقيع الاتفاق أخلى الصليبيون (دمياط) وركبوا السفن ، وسلم (جيوفرى دى سرجين) مفاتيح المدينة الى المسلمين ، فدخلها الجيش الاسلامى تتقدمه طبوله وأعلامه ، ورفع العلم فوق أعلى برج من أسوارها .

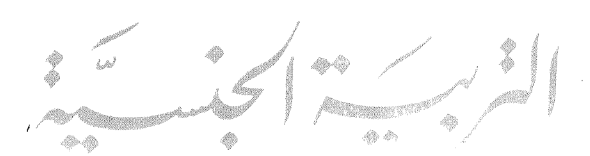
وبمجرد أن دفع لويس التاسع الفدية المتفق عليها أطلق سراحه وسراح أمراء جيشه وجميع جنوده الاسرى ، وبذلك اختتمت الحملة صفحة هجومها على (مصر) بهذه النهاية المؤلمة .

وقد دوت أنباء هذا النصر العظيم فى (القاهرة) وسائر البلاد المصرية ، فأقيمت الزينات ، وعمت الأفراح كل مكان ، وعادت قوات الجيش الظافرة الى (القاهرة) وتغنى الكتاب والشعراء فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بهذا النصر المبين .

وسجل التاريخ فى سجلاته الخالدة أن هزيمة لويس التاسع فى (المنصورة) كانت بداية قرب نهاية الصليبيين بالشرق الاسلامى فى العصور الوسطى ..

---

(١) هذه الاعداد مأخوذة من تقريرات (جوانفيل) مستشار لويس التاسع ومترجمه الذى رافقه فى الحملة ..



التربية الجنسية

للدكتور

وجيه زين العابدين

عنى الاسلام بالطفل عناية بالغة فوضع الاسس العامة لتربيته ونشأته واعطاه من الرعاية والتكريم ما لم تصل اليه الانظمة الحديثة .. وما كانت التربية الجنسية — كما أصطلح عليها — جزءا منفصلا عن قواعد التربية العامة للطفل ..ولكن فى الاسلام توجيها خاصا للتربية الجنسية وضع القرآن الكريم والسنة المطهرة الخطوط العريضة له وددت الاشارة اليها لاطلاع المسلم واتباعها ..

ربما جاز أن أقول ان الاسلام قد أهتم بأمر الطفل قبل أن يولد بأعوام وذلك باختيار أم صالحة .. فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم الرجل أن يختار له زوجة صالحة ذات خلق ودين تلك التى ستقوم بتربية الطفل فمن كانت منهن تقية سوف تقبل بتطبيق تعاليم الاسلام مما تعلم ومما تتعلم فكان المنبت الحسن والجو الصالح قبل أن يخلق الطفل ويولد ..

الطفل لغة الصغير وقد سماه القرآن الكريم طفلا منذ ولادته فى قوله عز وجل فى سورة المؤمن (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا .. الآية) .. وتبقى التسمية حتى يبلغ الحلم كما جاء فى القرآن الكريم أيضا فى سورة النور قوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا .. الآية) .. وقد ذكر ابن القيم فى كتابه (تحفة المودود فى أحكام المولود) الكلمات العربية للطفل منذ ولادته حتى بلوغه فهو (وليد ورضيع وفطيم ودارج .. الخ)

وليس للوليد والرضيع أى توجيه فى التربية الجنسية ، على أن الاسلام



قد نبه الى وجوب تسمية الطفل بالاسم الحسن حيث أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أنه غير بعض الاسماء القبيحة الى أخرى جميلة .. ولعل من الجائز أن أقول بهذا الصدد أن يمتنع المسلم عن تسمية الطفل باسم قد يثير الشهوة البهيمية الجنسية (١) ..

قلت ليس للرضيع عمل جنسى فيكون له توجيه وتربية فى العامين الاولين من عمره وما ذكره بعض علماء الطب والنفس كون الرضاعة عملا جنسيا لم يقبله العلم .. على أن للرضيع ـ كما يقول الاطباء ـ عملا قد يشبه أو يعتبر العادة السرية عند البالغين وهو عبث الذكر من الاطفال بعضوه ومد الانثى لساقيها بحالة تشنجية ولصق الفخذين ببعضهما والقيام ببعض الحركات ثم الاستلقاء والنوم أحيانا .. هذا العمل يتركه الرضيع بعدئذ فلا تلتفت اليه الام ولا تزجر طفلها فان فعلت قد يستمر الطفل ويجب عند ذاك عرضه على الطبيب ليرى الامر اذ قد يصف له علاجا .

فاذا بلغ الرضيع العامين يجب أن ينظر فى أمره فهل يبقى فى غرفة نوم أبويه أم يخرج أو يوضع بينه وبين والديه الحجاب .. هنا يضع الاسلام القاعدة العامة .. قال تبارك وتعالى فى سورة النور (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من

قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) .

قال القرطبى ان الذى يستأذن فى الاحوال الثلاثة هو الذى عقل معانى الكشفة .. فالآية الاولى تطلب ان لا يدخل الطفل المميز على أبويه أو أحد من أهله من غير استئذان فى أوقات ثلاثة ، فترة النوم من بعد صلاة العشاء حتى طلوع الفجر وكذلك وقت القيلولة ظهراحيث يغلب ان يكون الابوان قد نزعا ثيابهما أو تكون الام فى وضع لا يجوز أن يراها أى طفل مميز . لذلك يجب أن يخرج الطفل المميز من غرفة نوم أبويه أو يوضع حجاب بينه وبينهما .

ولم يذكر القرآن الكريم سن التمييز (٢) بل تركه لتقدير رب البيت الذى يقرر متى يمنع طفله بالنسبة الى ذكائه وظروفه ومن يحيط به ومقدار تعلمه واطلاعه لا سيما بالنسبة الى الاسئلة التى يوجهها على أن الطفل دون الثانية لا يميز ولذا جاز أن يبقى فى غرفة نوم والديه وجاز له أن يدخل على ابويه واهله فى أى وقت .. ولعل سن الرابعة هى المعدل .. وربما وجب ان يمنع طفلا فى الثالثة او قبلها او ربما جاز أن يسمح لطفل فى الخامسة ان كان قليل الذكاء وقد ارشدنا النبى صلى الله عليه وسلم فى حادث حين وصف أحد الناس من العبيد (من ملك اليمين) والذى يدخل تحت حكم هذه الآية الكريمة وصف هذا المملوك امرأة أنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن يمنع من الدخول على النساء ..

فاذا بلغ هذا الطفل المميز وجب أن يجرى عليه حكم البالغ كما ذكرته الآية الثانية وهو الاستئذان فى كل وقت وكما نصت عليه الآية الكريمة من نفس سورة النور وهى قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) ..

ولعل من الجائز بهذا الصدد أن نفهم من الآية الكريمة : تعيين موعد التقاء الزوجين (٣) والتعرى الجزئى للرجل والمرأة .. وكذلك يفهم من الآية الكريمة أن تكون المرأة فى وضع صحيح معقول ، فلا تكشف عن عورتها خارج هذه الاوقات لانهقد سمح للطفل المميز أن يدخل على أمه وأخته وقريبته فى غير هذه الاوقات، بدون استئذان .. فان كان شىء من اظهار عورة المرأة أو أى عمل بين الزوج وزوجه يجرى فى النهار فلا بد أن يتخذ الزوجان ما يحجب عنهما الطفل المميز ..

وكذلك مما علمنا القرآن الكريم من أدب فى تربية الطفل هو عدم اظهار زينة المرأة للطفل الذى يفهم ويعقل شيئا عن زينة المرأة وجمالها قال تعالى فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن او نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .. الآية) .

وعلمنا نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نسمح لمن بلغ سبع سنوات من عمره أن ينام فى غرفة أخته أو اقاربه الا أن يكون

حاجز بينهما .. قال عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم لعشر وفرقوا بينهم بالمضاجع) .

اخرجه أبو داود ..

هذه بعض القواعد فى تربية الطفل الجنسية ، كلها لايجاد محيط فاضل لا يثير فى الطفل كوامن الشهوة الجنسية ولا يطبع فى دماغه شيئا من الفاحشة قد تدفعه فى المستقبل الى ارتكاب الخطأ .. هذه التربية الوقائية هى التى يسير عليها الاسلام فى كل مجالات حياة الانسان .

تعليم الطفل

والعمل الايجابى الذى يقرره الدين فى تربية الطفل الجنسية هو تعليمه وارشاده ووضعه على الطريق المستقيم منذ نعومة أظفاره لتكون جذور الفضيلة عميقة فلا يضل فى المستقبل ، فاذا أصابه بعض الانحراف فسرعان ما ترجع به هذه الجذور الى الفضيلة .

يتعلم الطفل عمليا ما يرى من محيط أهله فاللباس محتشم .. فالطفل المميز لا يرى عورة ولا يسمع الا الكلام الطيب ، فاذا تعلم القراءة لا يجد فى بيته الرخيص من الادب أو قصص الفحش مما نجده فى معظم المجلات والكتب المخصصة للفساد ، ومقابل ذلك يوجه الاب المسلم طفله الى تعلم القرآن وحفظ بعض سوره وتعلم بعض الآيات التى تربى الاسرة مثل سورة الحجرات .. كل ذلك قبل دخوله المدارس لعلها تكون له بعض الحصن مما سيقرأ ويسمع ويصاحب .

ويسأل الطفل عن أمور الجنس فيجب أن يكون الجواب بالصدق مع استعمال المجاز والكناية والتلميح .. ولا يجوز الكذب على الطفل لان من خلق المؤمن الصدق الا ما أجاز له الشرع من كذب فى الحرب واصلاح ذات البين ولغو الزوج وزوجه .. ففى الحديث الصحيح أن امرأة قالت لطفل تعالى أعطيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ونظر فى يدها فوجد فيها تمرة فقال (لو لم تكن هذه التمرة لكتبت عليك كذبة) اخرجه البخارى (٤) .

الصدق الصدق مع الطفل . . يسأل الطفل مثلا كيف وجدت فى هذه الدنيا فنقول بصورة مختصرة خرجت من بطن أمك .. ونوجهه حالا الى القرآن الكريم يأتى به فنشير الى آية من سورة النحل فيقرأ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) .. وقد يكتفى ، وقد يسأل بعد حين أو حالا وكيف نشأت فى بطن أمى .. فنقول له ان الله عز وجل هو خالق الانسان يجعله فى بطن أمه نطفة فيكبر ويكبر حتى يصير طفلا فيخرج .. ونوجهه الى القرآن الكريم أيضا ليقرأ أو نقرأ عليه ما ورد فيه بهذا المعنى فى سورة الحج مثلا أو المؤمنون أو المؤمن .. فان سأل وما علاقة أمى بأبى فنقول لا بد لخلق الطفل أن يجتمع رجل وامرأة فى زواج حسب شريعة الله .

وهكذا نجيب على أسئلة الطفل بالتلميح والاختصار وتوجيهه الى الدين ليرتبط فى ذهنه فيفهم الامور الجنسية عن طريق القرآن الكريم والحديث .

هذا أسلوب القرآن الكريم فى التعليم حيث وردت آيات كثيرة تشير الى الجماع بكلمات المباشرة

واللمس والتقرب .. كما أن أى اشارة الى قضية جنسية يذكر فيها الله تبارك وتعالى كلمة التقوى مباشرة لئلا يبتعد الذهن الى الشهوة البهيمية .. فمن هذه الآيات قوله عز وجل فى سورة البقرة (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقو الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين) وكذلك قوله عز وجل فى سورة النساء (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .. فبعد أن أشار الى أن من صفات المرأة الصالحة ان تحفظ زوجها فى غيبه وتكتم سر زوجها عقب بكلمة بما حفظ الله .

ويتعلم الطفل المسلم كثيرا من الامور الجنسية بصورة غير مباشرة حين يبدأ الصلاة فى السابعة اذ يتعلم الوضوء والاستنجاء ولعله يسأل بعض القضايا الجنسية مما تمهد له فلا يفاجأ بمرحلة البلوغ لا سيما عند الفتاة .

والاسرة المسلمة التى ترتبط بالقرآن والحديث سترى الخطوط العريضة للحياة السعيدة فاذا اعتنت بتربية اطفالها على أسس تعليم القرآن فلا خوف عليهم أبدا من أى مدرسة فاسدة وقد ثبت بدراسات كثيرة أن ما يتعلمه الطفل فيما بين العامين وسن الخامسة يبقى اصلا له فى علاقاته الاجتماعية حين يكبر ومهما انحرف ومهما ضل فسيعود الى ما تعلمه من أبويه المسلمين فى طفولته .. فلا زال الامر بيد الاسرة المسلمة ان أرادت أن ترى أولادها على هدى الله .

●●

---

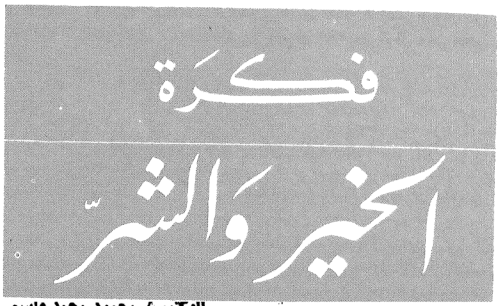
(١) أترك الامثلة لاجتهاد الاب المسلم ..وهذا رأيى الشخصى ولا يوافقنى عليه شيخى الذى درسنى بعض الدروس الدينية .

(٢) ولا أعرف فى السنة تحديدا لسن التمييز وما ورد فى الحديث الصحيح عن نوم ابن عباس فى منام خالته أم المؤمنين لا علاقة له بسن التمييز وبهذه الآية .

(٣) أشارت الى هذا الوقت الآية الكريمة من سورة البقرة قوله عز وجل (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. الى قوله عز وجل فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض .. الآية) .

(٤) لو لم يكن فى الاسلام فى تربية الطفل سوى هذا الحديث الشريف لكدت اقول انه من أعظم تعاليم سيدى المصطفى وانه يكفى وحده فى وضع الاسس القويمة .. فليس الا الصدق صفة تبنى الثقة فاذا كانت الثقة بين الطفل ووالديه سهل الطريق لتوجيه الطفل ، وما رأيت فى خبرتى الطبية صفة تبعد الولد عن أبويه وتضع اساسا للتمرد على الاسرة وعصيان الابوين ، مثل صفة الكذب .





للدكتور / محمود محمد قاسم

عرفنا في مقال سابق لوجهة نظر محيى الدين بن عربي الميتافيزيقية في مسالة الخير والشر ، وهنا نكمل ما بدانا ببيان وجهة نظره الدينية في هذه المسالة ورايه في تحديد موقف الانسان من الخير والشر وفي امله ان تعم الرحمة الالهية جميع الخلق ..

ب ــ النظــرة الدينيــة :

إذا كانت هناك ضروب من النقص في العالم ، وإذا كان كمال العالم يقتضى ان يوجد النقص فيه حتى تتحقق حكمة الله في الكون ، فمن الطبيعي أن توجــد أشياء توصف بالحسن والخير ، وأخرى توصف بالقبح والشر . لكن هل في طاقة العقل أن يستقل بمعرفة وجه الحسن أو القبح ، أو الخير والشر في كل شيء ؟ وهنا نجد ابن عربي يميز بين نوعين من الحسن والقبح . فمنهما نوع يمكن معرفته عن طريق التفكير النظرى الذى يحدد وجه الحسن أو وجه القبح في الأشياء بناء على معايير خاصة بالكمال أو النقص ، أو معايير نفعية . لكن هناك نوعا آخر « لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذى هو الشرع ... وهذا من الشرع خبر لا حكم » فوجهة نظر العقــل الانسانى ، في تحديد الخير والشر ، وجهة نظر نسبية فيما يتعلق بالأحكام التى يصدرها ، اما الشرع فيطلعنا على ما هو حسن أو قبيح في ذاته ، ومعنى ذلك انه يبين لنا أن الخير هو ما يوافق الطبيعة الإنسانية ، وأن الشر هو ما لا يوافقها . فالشرع لم يات إلا بما يساند الطبع . ولذلك يعجب محيى الدين بن عربي كيف يجد بعض الناس مشقة في قبول ما جاء به الشرع الذى لم يحرم عليه شيئا تقتضيه الطبيعة الانسانية ، فقد راعى هــذه الطبيعة عندما بين لها الطرق السوية التى تحقق لها الخير . « فما هلك الناس إلا بسلطان الأغراض ، فانه الذى ادخل الألم عليهم والمكروه . فلو ان الإنسان

يصرف غرضه الي ما اراده له خالقه لاستراح ... » (١) ذلك لأن الله لا يريد للناس إلا اليسر ولا يريد بهم العسر . وهو يريد لهم الخير لا الشر ، وإن كان الكل من عند الله لانه هو الذى اوجد العالم بما ينطوى عليه من كمال ومن نقص يراد به الخير ..

إن المثل الأعلى ، فى نظر ابن عربى ، هو ان يريد الإنسان ما يريده الله له ، فلا يضيق بنعمة الوجود وقد استدل لذلك بما روى عن أبى يزيد البسطامى من انه قيل له : ماذا تريد ؟ قال اريد الا اريد ، اى إنه يريد ان يجعله الله مريدا لما تقضى به الإرادة الالهية . إذن فمن المستحيل ان يكون المرء مجردا من الإرادة ، والا لما كان لطاعته التى يتقرب بها إلى خالقه معنى ، إذ لو لم تسبقها نية لما كانت طاعة . فمعنى ما قاله البسطامى هو انه لم يطلب لنفسه شيئا سوى أن يتحـــرر من الأهواء النفسية التى لا تتسق مع الشريعة والتى لا تحظى برضى الله .

فالشرع إذن هو السراج الذى ينير الطريق . ومن لا يهتدى بنور الشرع شبيه برجل يسير فى الظلام دون سراج او ضوء ، فى طريق كثيرة المهالـــــك والأوحال والحفر . فلا بد له من نور يرى به اين يضع قدمه ، ويكشف له عما يجب أن يتجنبه من المخاطر [وليس له نور سوى نور الشرع الذى قال فيه تعالى : « نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » وقال : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقال : (نور على نور)] : أحدهما نور الشرع ، وثانيهما نور البصيرة ، اى نور القلب .ويرى ابن عربى أن نور الشرع « قد ظهر ظهور الشمس ، ولكن الأعمى لا يبصر ، وكذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به ، ولو كان نور عين البصيرة موجودا » إذن فمن الضرورى أن يجتمع هذان النوران حتى يعم الضوء الطريق . كذلك يجب على السائر فى تلك الطريق المحفوفة بالمخاطر أن يحافظ على سراجه من أن تهب عليه ريح الأهواء والأغراض . « فهذا الشخص الماشى فى هذه الطريق ، إن لم يحفظ سراجه من الأهواء ان تطفئه بهبوبها ، وإلا هبت عليه رياح وزعازع فأطفأت سراجه ، وذهب بصره . وهو كل ريح يؤثر فى نور توحيده وإيمانه . فان هبت ريح لينة تميل لسان سراجه وتحيره ، حتى يتحير عليه الضوء فى مشاهدة الطريق ، فتلك الريح كمتابعة الهوى فى فروع الشريعة ، وهى المعاصى التى لا يكفرّ عنها الإنســـان ، ولا تقدح فى توحيده وإيمانه . فقد خلقنا لأمر عظيم . ولكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد ، وقاسينا هذه المكاره ، حصلنا على أمر عظيم ، وهو سعادة الأبد التى لا شقاء فيها » (٢) .

ونلاحظ ان فكرة الجمع بين نور الشرع ونور البصيرة او العقل فكرة سبق إليها علماء الكلام من معتزلة واشاعرة ، كما نجدها على نحو اكثر عمقا عند كل من الإمام الغزالى وابن رشد (٣) وترتكز هذه الفكرة عند هؤلاء جميعا على أن الله إنما يامر بالخير ؛ وينهى عن الشر عناية بالانسان ، وتحقيقا لطبيعته على اكمل وجه . « ما أمرك الله إلا بما هو خير لك . وهو عند الله عظيم . وما نهاك الا عما تركه هو خير لك ، لعظيم حرمته عنده .. » (٤) ويوصى ابن عربى كل من يقبل نصحه بأن يتبع خاطر الخير لا خاطر الشر الذى يحاول أن يثنيه عن فعل الخير فيقول : « ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع . وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشر فذلك لمسة الشيطان . فاذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لمسة الملك . وانت السفينة . إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك . فعليك بعلم الشريعة . فانك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها » (٥) .

ثم إنا نراه يؤكد هذه الفكرة فى مواطن عديدة فيقــول : « ان العــارف من عبد الله من حيث ما شرع ، لا من حيث ما عقل عن طريق النظر » ذلك لأن للهوى فى العقل حكما خفيا لا يفطن إليه أصحاب التفكير النظرى ، وإن شعر به أهل الكشف من الصوفية (٦) ، بل يذهب إلى القول بأن العمل غير الصالح من نصيب الذين يفصلون القول فى الخير والشر عن طريق تفكيرهم النظرى ، فى حين أن أهل الكشف ، الذين يهتدون بما جاء به الشرع ، اكثر توفيقا فى التفرقة بين الخير والشر « فما فصل بالاعلام الإلهى فهو كله عمل صالح ، وما فصــل بالنظر العقلى فمنه صالح وغير صالح بالنسبة إلى من يفصلــه لا غير . والكل عمل صالح بالنسبة الى الله تعالى ، كما نقول ان النقص فى الوجود من كمال الوجود ، وان شئت قلت من كمال العالم إذ لو نقص النقص من العالم لكان ناقصا فافهم » ثم يخبرنا أنه ماكان ليذكر أن هناك فسادا فى العالم لولا ان الخير الإلهى قد حذر من الفساد فى الأرض ، ولولا أنه راى اتفاق العقلاء ، بل الناس جميعا ، على القبول بوجــود الفساد فى العالم . ولولا ذلك لما نطق بهذا الوصف أدبا . (٧) فقد أهتــدى بالكشف الصوفى إلى العلم بأن افعال الله كلها خير ، لكنها توصف من الناس بأنها خير أو شر حسب أهوائهم وحسب استعداداتهم لقبول آثــار الأفعال الإلهية .

وهنا ينبغى أن نتساءل لماذا حددت الشرائع كلا من الخير والشر ؟ ذلك لأن ظهور العقل فى الإنسان هو الذى دفعه الى ان يدعى لنفسه أنه هو الــذى يختار افعاله ، وأنه يستطيع التفرقة بين الخير والشر . لذلك جاءت الشرائع تفــرق للعقــلاء بين الحسن والسىء . وكان من الطبيعى ايضــا أن يكون هناك جزاء للخير وللشر . غير أن رحمة الله سوف تشمل الجميع بعد أن يوفى أصحــاب الأعمال السيئة فترة العذاب التى كتبت عليهم بسبب خروجهم على ما قرره العقل والشرع معا (٨) .

ويكشف ابن عربى عن أبعاد فكرته هذه على نحو أكثر تفصيلا عندما يخبرنا بأن تكليف الناس باتباع الشرائع هو من المكر المحمود . ذلك أن العقل لما فرق بين الخير والشر جاء الشرع يقره على هذه التفرقة . فعندما تكلم عن المكر الإلهى بمناسبة قوله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، وقوله : (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) نجده يخبرنا بأن « من المكر الالهى ما يقصد به ضرر العبد ، ومنه ما لا يقصد به ضرر العبد . وانما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد . فانه لولا المكر الخفى لما صح تكليفه ولا طلب جزاء . فانه من مكر الله المحمود فى المكور به تكليف الله إياه بالاعمال والسمع والطاعة له فيما كلفه به . والأمر يعطى فى نفسه أن الاعمال خلق الله فى العبد ، وأن الله لا يكلف نفسه . وليس العامل إلا هو . وهذا قد شعر به بعض الناس (أصحاب مذهب وحدة الوجود) واقاموا على العمل وثابروا عليه ، أعنى عمل الخيرات (٩) ، وهم هؤلاء الــذين يقول ابن عربى عنهم إنهم قد اطلعوا على سر القضاء والقدر ، ورأوا تحكمه فى الخلق ، وشاهدوا ما قدر لهم من أعمال تصدر عنهم من حيث هى أفعال لله ، لا من حيث أنها توصف بالخير والشر . وهم يشاهدون ذلك ، على حد قوله ، فى حضرة النور الخالص التى دعت علماء الكلام إلى القول بأن افعال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله ، دون أن يفطنوا إلى سر القضاء والقدر . لكن توجد مرتبــة تأتى بعد حضرة النور الخالص ، وهى التى يسميها حضرة السدفة وهى التى تجمع بين النور والظلمة ، وهى التى يظهر فيها التكليف الدين. فظهور العقل عند الإنسان

وفيها يتميز الخير من الشر . وتوجد آخر الأمر حضرة الظلمة وهى مرتبة الشرك والأفعال الموجبة للخلود فى النار . أما فيما يخص ابن عربى فيقول إن الله أقامه فى الحضرة الثانية ، وعصمه من أن يخرج على حدود الشرع « بل أقامنى الله فى حضرة السدفة وحفظنى وعصمنى فلى حكم حضرة النور (من حيث العلم) وأقامنى فى السدفة وهو عند القوم أتم من الاقامة فى حضرة النور . فهذا معنى قول بعضهم فى الفناء إنه فناء المعاصى » ، أى أنه ، وإن كان يسلم عن طريق الكشف ، أن الأفعال كلها تنسب إلى الله ، وأنها حسنة فى ذاتها ، إلا أنه رأى أن اتباع طريق الشرع فى التفرقة بين الخير والشر والطاعة والمعصية هو السلوك الأقوم والأكمل . ومن المؤكد بعد ذلك كله أن عمل الخيرات لا يلحق ضررا بالبشر لأنه يلائم طبيعتهم ، ويتسق مع نفوسهم التى صدرت من أصل طاهر لأنها من أمر الله .

وهكذا يمكن فهم ضرورة الحدود أو العقوبات التى حددتها الشريعة لمن خرج عن طريق الخير . فانها ليست شرا ، بل هى خير فى صورة الشر . إنها نوع من العقاب أو الجزاء الذى يعجل به الله للمذنبين فى أثناء هذه الحياة وكذلك الأمر فى المصائب والكوارث التى تحل بالأفراد أو الأمم . فقد قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) « وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب والحروب والطاعون » .. فهذا كله جزاء على أعمال قاموا بها . وهو جزاء معجل فى الدنيا « وقد يكفر عن الذنب بعض خطاياه فى الآخرة . أما إقامة حدود الشرع على السارقين أو الزناة فانها تهدف إلى تطهيرهم . فعقابهم ليس شرا ، بل هو نوع من الرحمة . ولهذا نهى الشرع عن الرأفة فى إقامة حد الزنا بقوله « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فاقامة هذه الحدود على العصاة، وعلى ملأ من الناس فى الدنيا تطهير لأصحابها قبل أن يفضحوا على رؤوس الأشهاد فى الأخرى .. فاقامة الحدود فى الدنيا أستر إذ يسقط عن صاحبها فى الآخرة بقدر ما أخذ منه فى الدنيا (١٠) . ومن واجب الوالى أن يحكم بما نص عليه الشرع ، حتى لا يكون مواليا للشر . أما إذا ترك مراعاة جانب الحق ، وحكم بالهوى ، فقد ضل . وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأن مصائب الدهر وكوارثه هى الأخرى نوع من التطهير . وربما غادر بعض البشر هذه الحياة الدنيا « وما عليه خطيئة لكثرة ما يبتليه الله به » (١١) .

ولقد أمرنا الرسول أن نؤمن بالقدر خيره وشره فيجب الإيمان إذن بالشر أنه شر ، وبالخير أنه خير . والخير كله ينسب إلى الله ، لأنه هو الذى يعطى الخير بقضائه السابق . ولكن المخلوقات هى التى تفصل هذا القضاء بالقدر اللاحق الذى يرتبط بكائن معين فى زمن معين ، فيوصف بأنه خير أو شر « فخيريته ابقاؤه على الأصل ... ولهذا قال : والخير كله بيديك ، وما حكم به من الشر فمن القابل وهو قوله والشر ليس اليك (١٢) » ومعنى ذلك أن كل كائن له استعداد خاص كان يعلمه الله منذ الأزل . فاذا خرج هذا الكائن من عالم الإمكان الى عالم الوجود الفعلى تحققت استعداداته من قبوله للخير أو للشر . فليس علم الله هو السبب فى سعادته بالخير ، أو شقائه بالشر ، بل السبب هو الاستعداد الخاص بكل كائن فاذا قيل : ولماذا كان الاستعداد مختلفا لدى الكائنات ؟ أجاب ابن عربى بأن حكمة الله اقتضت أن يحتوى العالم على كائنات تختلف فى استعدادها لقبول الفضل الالهى ، حتى يتحقق لهذا العالم أكبر قدر ممكن من الكمال ، فليست ضروب النقص فى العالم إلا وسائل يراد بها تحقيق الخير .

غير أنه ينبغى الا يكون ذلك مبررا لأن ينسب المرء معاصيه إلى القضاء والقدر ، بل هناك قاعدة اخرى يجب اتباعها ، وهى ان يلزم المرء نفسه بفعل الخير . فاذا حدثته نفسه بفعل الشر فعليه ان يعقد عزمه على تركه ، إلا إذا غلبه القضاء السابق والقدر اللاحق . فاذا كان الله لم يقض عليه ان يفعل الشر الذى حدثته به نفسه كان امتناعه عنه حسنة تكتب له ، واذا حدث نفسه بفعل الخير وقام به كتب له عشر امثاله ، اما إذا حال القضاء والقدر دونه فسوف يكتب له حسنة واحدة فى كل زمان حدثته نفسه بهذا الخير ، فى حين انه إذا حدثته نفسه بسيئة فان الله يغفرها له ما لم يرتكبها . اما إذا قام بها فلن تكتب له الا بمثلها (١٣) .

هـ ــ موقف الانسان من الخير والشر :

إن الإنسان يتألف من روح وجسد . والروح طاهرة بحسب الأصل لأنها من عالم الأمر . ولذا لا توصف النفس بأنها شريرة فى أعماقها ، بل هى مطبوعة على حب الخير لأن الخير فيها امر ذاتى . كذلك يمكن القول بأن الأجسام وقواها طاهرة هى الأخرى . فكيف أمكن إذن أن يوصف الانسان بأنه خيّر أو شرير ما دام العنصران اللذان يتألف منهما طاهرين بحسب الأصل ؟ ان طبيعة التركيب بين هذين العنصرين التى تحدد ، فى نظر ابن عربى ، طبيعة الانسان التى تكون أكثر ميلا الى الخير منها الى الشر أو بالعكس . فاتصال النفس بالجسم هو السبب فى الاتجاه نحو الطاعة أو المعصية . وعندئذ ندرك كيف يوجه المدح أو الذم إلى الانسان الذى يجمع بين الروح والجسد ، والذى يكون أهلا للثواب أو العقاب (١٤) . ويبدو هنا تأثر ابن عربى بأفلاطون ، الذى سبقه الى القول بأن اتصال النفس الانسانية بالجسم هو الذى ادى إلى نشأة النفس الحيوانية أو الشهوانية ، وهى سبب المعصية لأنها إما أن تكون مطيعة فتشبه الدابة الذلول وإما ان تكون جامحة « لقوة رأسها وتركيب مزاجها » .

ولما كان الدين هو عمل الخير ، ولما كانت النفس مهيأة له بطبيعتها فانها لا تقبل الشر إلا بالحاح من القرين الذى يوسوس إليها به ، وهو الشيطان ، ولذا قال الرسول : الخير عادة والشر لجاجة . إذن ليس الشر اصيلا فيها ، بل تكاد لا تقبله إلا مكرهة « فان النفس بالذات ما زالت خيرة لأن اباها الروح القدس الطاهر ، وطبعها الخير . وامها هذه الصورة المسواه المعدلة من هذه الأخلاط(١٥) ويطلق ابن عربى اسم هذه الصورة على الجسم الذى خلقه الله فسواه فعدله . ولقد قبل الجسم هذه التسوية وهذا العدل ، وقبوله للعدل من الخير (١٦) .

وإذا كانت النفس طاهرة بحسب الأصل فليس الظلم من صفاتها لأنه شر ، بل النفس الكاملة التى تسمو على المستوى الحيوانى ، هى التى تشعر بالرحمة تجاه الخلق كلهم ودون تفرقة . فهى تدعو للآخرين أن ينالوا مثلما نالت هى من حب الخير . واذن فان كل ما ينقص من طهارة النفس انما هو « أمر عرضى ، عرض لها لما عندها من القبول فى جبلتها » والذى من شيمها انما هو القهر والظهور . ومن هنا دخل عليها ابليس بوسوسته . ولقد جهل القائل الذى قال :

والظلم من شيم النفوس فان   تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم .

وما أنصف وما قال حقا . (١٧) فالظلم الذى نراه من بعض الناس لا يصدر

عن طبيعتهم وانما يأتيهم من جانب الشيطان «وللانسان فيه مدافعة يجدها من نفسه » ولقد أمرنا بأن ننصر أخانا مظلوما أو ظالما . أما نصرته كمظلوم فهذا أمر توجبه المروءة . وأما نصرة الأخ الظالم فهو أن تنصره على من يوسوس له فى صدره بالشر . وتكون نصرته « بالكلام الذى تستحليه النفوس وتنقاد اليه ، فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك (١٨) » ومن ثم يمكن تفسير قولـــه تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » . بأن الله قد جعل فى طبيعـــــة النفس استعدادا لقبول ما تلهمه من فجور أو تقوى ، وجعلها قادرة علـــى التمييز بين هذين الاتجاهين ، فتختار الخير وتحـــاول أن تتجنب الشر . لكن من الـــــذى يلهمها التقوى والفجور ؟ لا يجوز القول ، فى نظر ابن عربى ، بأن الله هو الذى يلهمها احد الأمرين ، بل الأولى أن نفهم هذه الآية على ضوء ما قاله الرسول من « أن للملك فى الانسان لمـــة ، وللشيطان لمـــة » . فيكون الضمير فى الهمها للملك فى التقوى ، وللشيطان فى الفجور ... وكل بقضاء الله وقدره ... ولا يصح أن يقال فى هذا الموضوع إن الله هو الملهم ، لما فى هذا من الجهل وسوء الأدب ، ولما فى ذلك من غلبة أحد الخاطرين ، والفجور اغلب من التقوى ، وأيضا لقوله تعالى: «ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك» (١٩) أما سوء الأدب فهو نتيجة للجمع بين الله والشيطان فى ضمير واحد وهذا غاية سوء الأدب مع الله » اذن من الأولى أن ينسب الالهام بالفجور الى الشـــيطان ، والالهام بالتقوى الى الملك « فمقابلة مخلوق بمخلـــوق أولى من مقابلة مخلـــوق بخـــالق » ..

ويبقى من المقرر ، بعد ذلك ، أن النفس خيرة بطبيعتها وبحسب اصلها ، وأنها « ليست أمارة بالسوء من حيث ذاتها ، وانما ينسب اليها ذلك من حيث انها قابلـــة لإلهام الشيطان بالفجور ولجهلها بالحكم المشروع . ويرى ابن عربى أن الإلهام بالشر أو بالخير لا يكون الا لـــدى أفراد الأمة التى بعث فيها أحد الرسل أما اذا وجدت أمة على الفطرة ، ولم يبعث فيها رسول فانها تسلك طـــريق الخير بفطرتها وتبعا لطهارة النفس الأصيلة فيها . فالواجـــب الذى تقتضيه طبيعـــــة النفس والذى يوجبه الشرع ، مراعاة لهذه الطبيعة ، هو أن يتجه الانسان إلى الخير ، ولا يسلك طريق الشر متذرعا بأن الشيطان هو الذى يوسوس به اليه ، او بأن ذلك كان بقضاء الله وقدره « فاجهد الا تصدر منك صورة الا مخلقة فى غاية الكمال فى قول وعمل . ولا يغرنك كون النقص من كمال الوجود » (٢٠) . وقد زل جماعة من الناس فى هذا الموضوع عندما اعتقدوا أن المعاصى الارادية لدى الانسان سبب فى كمال العالم (٢١) . ويقول ابن عربى أنه لقى فى حياتـــه هذا الصنف من الناس ، ثم يؤكد لنا أن سمة القبح فى العالم هى أن يوجد انسان يرضى لنفسه أن يهبط عن المرتبة التى ارادها له خالقه .

ومهما يكن من أمر ، فالاتجاه الى الخير هو الطابع الأصيل فى الإنسان ، وهو الذى يجب أن تكون له الغلبة . غير أن المرء قد يخطىء فى تحديد هــــذا الخير ، فيريد شيئا يظنه خيرا وهو شر فى حقيقة أمره . فنراه يدعو الله أو يسأله أن يحقق له غرضا ، دون أن يعلم أن الله لو حقق له ما سأل لأصابه الضرر « ولهذا ما كل مسئول فيه يقضيه الله لعبده ، وذلك رحمة به . فانه قد يسأل فيما لا خير فيه . فلو ضمن الاجابة فى ذلك لوقع ، ويكون فيه هلاكه فى دينه وآخرته ، وربما فى دنياه من حيث لا يشعر . فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيما يسأل فيه ، وإنما ضمن الاجابة فى الدعاء خاصة كما بيناه . وهذا غاية الكرم من السيد فى حق عبـــده » .

فللعبد اذن ان يدعو الله ان يوفقه للخير ، وليس له ان يحـدد له ما ينبغى ان يحققه له من صنوف هذا الخير . وهناك شىء يدعو الى الحيرة ، فى نظـر ابن عربى ، وهو اننا لا ندعو الله ان يحقق لنا الخير الا بتوفيق منه ، وإلا تبعـا لاستعداد يوجد فينا لقبول هذا التوفيق . وهكذا نصبح أهلا لدعائه وأهـلا لاستجابته لدعائنا ، على ان نترك الله يستجيب لهذا الدعاء على النحو الذى يراه هو لا نحن « فهو اعلم بالمصالح منا . فانه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله . وإنما الشخص يسأل والحق يجيب . فان اقتضت المصلحة البطء ابطأ عنه الجواب . فان المؤمن لا يتهم جانب الحق ، وان اقتضت المصلحـة السرعة اسرع فى الجواب ، وان اقتضت المصلحة الاجابة فيما عينه فى دعائه أعطاه ذلك سواء اسرع به أو ابطأ ، وان اقتضت المصلحة ان يعدل ما عينه الداعى إلى أمر آخر ، اعطاه الأمر الآخر لا ما عينه (٢٢) » ..

وليس معنى أن يرضى الانسان بالواقع الذى اراده الله له ، الا يضرع إليه لكى يزيح عنه ما قد يصيبه من بلاء ، لأن ذلك هو ما يسميه ابن عربى مقاومـة القهر الالهى . « فانه ما آلمك وحكم عليك بخلاف غرضك .. إلا لتسأله رفع ذنبك عنك ... فمن لم يشك الى الله ، مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغـرض الالهى ، فقد قاوم القهر الالهى » انه من الادب مع الله أن يطلب المرء إليه أن يكشف عنه ما حل به من مصائب وبلاء « فالأدب كل الأدب فى الشكوى الى الله فى رفعه، لا إلى غيره (٢٣) وليس معنى الصبر على البلاء ، وهو كثير فى هذه الحيـاة ، الا يلجأ المرء الى الله حتى يرفعه عنه ، فان الرضا بالبلاء وحبس النفس عـن الشكوى غاية الجهل بالله . وإذا كان الانسان يشكو عادة إلى أخوانه ممن قد لا يستطيعون له نفعا ، فلم لا يشكو الى الله ، وهو يعلم أنه لا يقدر على رفع البلاء إلا من انزله به (٢٤) وبهذا المعنى يمكن القول بأن الآلام التى يعانيها المرء ويسميها عذابا ليست شرا خالصا ، وذلك لأنها تذكره بربه فيرجع اليه مضطرا لا مختارا « فيستعذب عند ذلك الأمر الذى رده إلى الله ، وذكره به فأخرجه عن حكم غفلته من نسيانه فسماه عذابا » (٢٥) .

واذا كانت النفس مجبولة على الخير فليس للانسان أن يستأذن ربه فى فعل الخير . فان مثل هذا الاستئذان دليل على الفتور والتراخى ما دام الشرع قد حدد طريق الخير . وكيف يستأذن الانسان فى شىء يعلم انه خيـر : « فان استأذنت ربك فى خير تعلـم أنه خير فانظر فان أجابـك بالعمـل فحسن ، وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك . وإن لم تقع منه اجابة فاعلم ان فى ايمانك ثلمة . فانك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع ، والشارع الله . فلأى شىء تستأذن بعد العلم ؟ فجدد إيمانك بين يديه ، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله . آمنت بما عندك . واشرع فى العمل ولا تستأذن فى شىء قط . فان الله عليك رقيب ، فهو يلهمك ما فيه مصالحك . وميزان الشرع ، الـذى شرع لك ، بيدك لا تضعه من يدك ساعة واحدة ولا نفسا واحدا (٢٦) ..

ولا ريب فى أن الاستئذان فى فعل الخير ينطوى على التردد ، وفيه رائحة من الشك ، بعد أن بين الشرع أسباب الخير وطرقه ، وأسباب الشقاء والشر وطرقه . وهناك معيار حاسم يفصل بين ما هو خير وما هو شر ، كما يقول ابن عربى : وهذا المعيار ميزان يجده المرء فى نفسه وهو الضمير . فاذا وجد المـرء نفسه انه واثق من أن يريد خيرا ، وأن ظاهره أو سلوكه ليس مخالفا لما يشعر به

في باطنه أو يوحي به إليه ضميره فذلك دليل على أنه يسير في طريق الخير فعلا . أما إذا وجد أنه يسلك سبيل الخير بحسب الظاهر لكن يجد في باطنه رائحة من الشك أو الاضطراب فيما يقوم به من عمل أو عبادة ، أو انقدح في خاطره شك في نتيجة هذا العمل أو العبادة فذلك لأنه مجرد من الإيمان ، ولأن قلبه في ظلمة حالكة « هذا ميزانك في نفسك وما يخطر لك فيها » . ولذا أخبر الرسول بما معناه أن بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، لكن الله يعلم ما يخطر في نفسه من شك يقدح في ايمانه ، لأنه ليس موقنا بجدوى ما يقوم به من عمل يراه الناس منه . وقد يعمل الرجل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، لكن باطنه بخلاف ظاهره لأنه يشعر في أعماق نفسه أن عمله مخالف لما أمر الله به « فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس » (٢٧) . .

ولذلك يوصي ابن عربي أن نبدأ بأن نحسن الظن بالناس ، والا نخدع بالظواهر فنصدر أحكاما سريعة قد تكون مخطئة . حقا يجب أن نميل إلى أهل الخير ، وان نتجنب أهل الشر « وقد ورد في الحديث الثابت أن الجليس الصالح كصاحب المسك ، إن لم يصبك منه أصابك من ريحه ، والجليس السوء كصاحب الكير ، ان لم يصبك من شرره أصابك من دخانه » فمن صاحب أهل الريب كان جديرا بأن يرتاب الناس في أمره ، وذلك بسبب غلبة سوء الظن بالناس . ومع هذا فان ابن عربي يرى أن حسن الظن بالناس أفضل من سوء الظن بهم ،فهو يقول « ان هناك فائدة انبهك عليها ، أغفلها الناس ، وهي تدعو الى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهرا من السوء . وذلك انك إذا رأيت من يعاشر الأشرار ، وهو خير عندك ، فلا تسيء الظن به لصحبته الأشرار ، بل حسّن الظن بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيّر ، **واجعل المناسبة في الخير لا في الشر** . فان الله ما سأل أحدا قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ، ويسأل عن سوء الظن بالخلق ، ويكفيك هذا نصحا إن قبلت » (٢٨) . .

د ـ الرحمة الشاملة :

ولما كان محيي الدين بن عربي يجعل المناسبة في الخير لا في الشر ، فقد حدد لنا موقفه في مسألة هامة أخرى ، وهي مسألة الوعد والوعيد التي تعد أحد الأصول الخمسة في مذهب المعتزلة ، وهي التي ترتبط بوجوب اثابة الصالحين وعقاب العاصين . فالوعد خاص بأفعال الخير ، والوعيد يتصل بأفعال الشر . أما فيما يتصل بالوعد فمما لا ريب فيه أن وعد الله حق . وأما فيما يتصل بالوعيد فقد اختلفت آراء علماء الاسلام في ذلك من أشاعرة ومعتزلة(٢٩) . وليس لنا أن ندخل هنا في تفصيل هذا الخلاف فان ذلك أمر يطول الحديث فيه . أما فيما يخص ابن عربي فهو يحذر من أن نخلف الوعد ، وان نصح بأن نخلف الوعيد بالشر ، على الا نسميه خلفا للوعيد بل تجاوزا وعفوا ، والعفو خير . فقد وعد الله العافين من الناس بأن أجرهم على الله . ولقد ذهبت المعتزلة بصفة خاصة الى أن أوجبوا على الله الا يخلف وعيده بالعقاب . وهذا هو ما يأخذه عليهم ابن عربي ، فيرى أن « هذه شبهة المعتزلة ، وغاب عنها قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » . فقد تواطأ العرب على أن التجاوز عن الوعيد أو الوعد بالشر يعد من مكارم الاخلاق فعاملهم الحق بما تواطأوا عليه ، فزلت هنا المعتزلة زلة عظيمة . أوقعها في

ذلك استحالة الكذب على الله تعالى في خبره . وما علمت ان مثل هذا لا يسمى كذبا في العرف (أو اللغة) الذى نزل به الشرع .. وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع ادلتها (العقلية) ولا ينبغي لها ذلك » . فعلينا أن نحاول فهم مقصد الشرع وان نعرف طبيعة من يخاطبهم وبأى لسان يخاطبهم . ذلك ان العرب لا تعد خلف الوعيد كذبا بل تراه من كرم الاخلاق . فان بعض الأعراب يحدثنا عن كريم خلقه فيقول :

وإنى اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وعندئذ فاذا رحم الله العصاة الذين اوعدهم بالخلود في النار فلا ينبغى ان يوصف الله بأنه قد أخلف فى وعيده « بل ينبغى أن يقال إنه يعفو ويتجاوز عن عبده »(٣٠) . اذن من الجائز ، فى نظر ابن عربى ، ان تعم الرحمة جميع الخلق بما فيهم أهل النار . وهو يعلل فكرة هذه الرحمة الشاملة بأنها تتسق تماما مع فكرته عن الوجود . ذلك لأن الوجود رحمة مطلقة في الكون . والعذاب شىء يعرض لأمور تطرأ أو تعرض « فهو عارض لعارض ، والعوارض لا تتصف بالدوام . . فلهذا يضعف القول بتسرمد (تأبيد) العذاب ، فان الرحمة شملت آدم بجبلته ، وكان حاملا لكل بنيه بالقوة فعمت الرحمة الجميع .. والله عند حسن ظن عبده به »(٣١) .

ويلاحظ ان هذا الرأى يبدو متعارضا مع ما جاء في القرآن من خلود بعض المعذبين في النار ابدا ، كما تتعارض فكرة نجاة ابناء آدم جميعهم ، بسبب عفو الله عن آدم ، مع مبدأ المسئولية الفردية الذى قرره الاسلام . لكن ابن عربى يحتج لرأيه هذا بنصوص دينية أخرى جاءت في القرآن وفي الحديث . فقد علمنا ان رحمة الله قد سبقت غضبه . فاذا انتهى غضبه عاد الحكم للرحمة في رأيه . كذلك نجده يقول إنه « ما ثم نص . . لا يتطرق اليه احتمال في تسرمد العذاب . . . فلم يبق الا الجواز وأنه رحمن الدنيا ورحمن الآخرة » فأهل العذاب سوف ينتهى أمرهم بأن يستعذبوا عذابهم كما يلتذ الاجرب بحك جلده . . ولا يبقى عليهم من العذاب الا الخوف من رجوع العذاب . فهذا القدر من العذاب الذى يسرمد عليهم ، وهو الخوف . وهو عقاب نفسى لا حسى . وقد يذهلون عنه في أوقات . فنصيبهم الراحة من العذاب الحسى . فأهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب ، وحظهم من العذاب توقعه » .

ولما اراد تفسير النصوص التى وردت بخلود اهل النار فيها الى الأبد ، قال : إنه ليس هناك نص صريح بأن أهل النار الذين لا يخرجون منها يبقون دائما فيها من اجل العذاب . وإذا كان حكم العذاب قد ارتفع عن اهل الجنة فمن الجائز أن يرتفع عن اهل النار مع بقائهم فيها . فقد قال تعالى : « وما هم بخارجين من النار »لكنه قال أيضا أن رحمته سبقت غضبه . غير اننا نجده يقول في مواطن أخرى (٣٢) أن مآل الاشقياء الى الراحة من النار وانه لا يبقى في جهنم سوى خزنتها .

واخيرا يحتج ابن عربى لرأيه القائل بأن الرحمة ستعم الجميع بأن الله واسع العطاء ، وأنه قد بسط رحمته فوسعت كل شىء ، بمعنى أنه يرحم بها كل شىء ، ويزيل بها غضبه عن عباده « فانظر فهنا سر عجيب في قوله : «ورحمتي وسعت كل شىء» ، وقوله : «كل شىء هالك الا وجهه له الحكم» بانزال

شيء منزلته وجعله في مرتبته .. وقد قال عن نفسه ان بيده الخير ، وقال صلى الله عليه وسلم : « والخير كله بيديك والشر ليس اليك » (٣٣) كذلك يحتج لهذا الرأى الذى نعترف انه قد يخدش شعور كثير من النـــــاس ، بأن مغفرة الله للمسيء من عباده هي امتنان من الله عليه . واذا كان عفو الانسان عن أخيه الذى أساء اليه ضربا من الكرم الـــذى وعد الله صاحبـــه بالاجر عليه ، فكيـــف يحجر المرء على ربه أن يعفو عن عباده المخطئين « فما نهى الله عباده عن شيء الا كان منه أبعد ، وما أمرهم بكريم خلق الا كان الحق به أحق »(٣٤) .

---

(١) فتوحـــــات ١٨٧/٢ . (٢) فتوحـــــات ٦٨٧/٢ — ٦٨٨ .

(٣) انظر كتابنا دراسات في الفلسفة الاسلامية — دار المعارف ط ٣ سنة ١٩٧٠ صفحات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٧٠ — ١٧٢ ..

(٤) فتوحـــــات ٤١٠/٤ .. (٥) فتوحـــــات ٤٦٢/٤ ..

(٦) فتوحـــــات ٤٠٩/٤ .. (٧) فتوحـــــات ٤٥٩/٣ ..

(٨) فتوحـــــات ٤١٣/٣ .

(٩) الفتوحـــات الباب ٥٠٦ : لكن أليس معنى ذلك انهم يخادعون الله ؟ وفي ذلك يقول ابن عربي « فما يخادع الله الا جاهل بالله غاية الجهل ، أو عارف بالله غاية المعرفة التى لا يمكن أن يكون للمحدث اتم فيها..» ثم يقول : ان الله وقد وصف نفسه بالمكر والاستدراج « ولذلك يتصف به اهل الله فيخادعون وينخدعون » .

(١٠) فتوحـــــات ٣٠٤/٤ يعبر ليبنتس عن ذلك بان خطة ايجاد افضل عالم ممكن اقتضت ان يوجد السعداء والاشقياء ..

(١١) فتوحـــــات ٣٠٥/٤ . (١٢) الفتوحـــات الباب ٤١٣ ..

(١٣) فتوحـــات ٤٤٧/٤ .. (١٤) فتوحـــــات ١٨٢/٣ .

(١٥) فتوحـــــات ٢٦٣/٢ . ويشبه افلاطون النفس الغضبيـــــة بالجواد الطيـــع ، والنفس الحيوانية بالجواد العصى — انظر اسطورة العربة في كتابنا في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ .

(١٦) فتوحـــــات ١٨٢/٢ .. (١٧) فتوحـــــات ٣٨١/٣ ..

(١٨) المرجع السابق ونفس الصفحة . (١٩) فتوحـــــات ١٦٨/١ ..

(٢٠) نفس المرجع ونفس الصفحة ..

(٢١) لم يفطن ليبنتس الى هذه التفرقة الدقيقة ..

(٢٢) فتوحـــــات ٢٤٥/٤ .. (٢٣) فتوحـــــات ٢٤٣/٤ ..

(٢٤) فتوحـــــات ٥٦٤/٣ .. (٢٥) فتوحـــــات ٢٠٧/٣ ..

(٢٦) فتوحـــــات ٢٣٠/٣ .. (٢٧) فتوحـــــات ٦٩/٤ — ٧٠ ..

(٢٨) فتوحـــــات ٤٦٢/٤ ..

(٢٩) انظر كتابنا « مناهج الادلة ومقدمة في نقد مدارس علم الكلام » الطبعة الثالثة — الانجلو المصريـــــة ١٩٦٩ ..

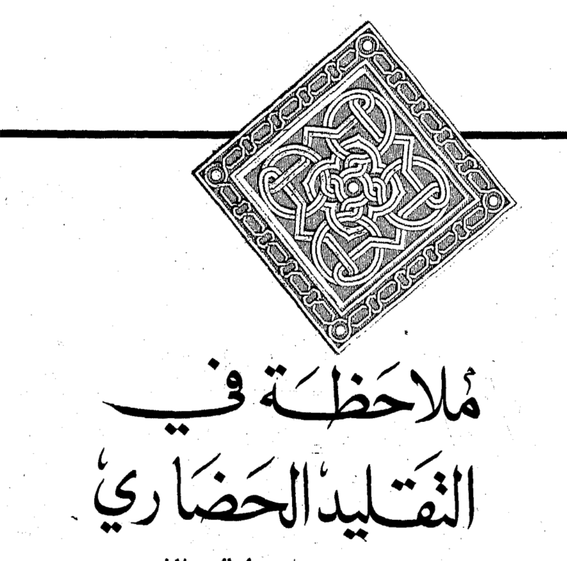
(٣٠) فتوحـــــات ٤٦٧/٤ .. (٣١) فتوحـــات ٦٥٦/١ ..

(٣٢) انظر مقالنا في مجلة الاقلام : اخلاق ابن عربي من كتاباته ..

(٣٣) فتوحـــــات ٣٢٤/٤ .. (٣٤) فتوحـــــات ٣٢٢/٣ ..

---

* الوعى : العدل الالهى يقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيء ، والنصوص القرآنية تؤكد خلود الكافرين في النار .



ملاحظة في التقليد الحضاري

د. عماد الدين خليل

يبدو واضحا ان أبناء الحضارة المهزومة يتبعون في نشاطهم الثقافي والعلمي تقليدا غير ذلك الذي يتبعه أبناء الحضارة الاصيلة المبدعة .. تقليدا ، لا يعود في جذوره الى المعطيات التجريبية والثقافية فحسب ، بل الى التجارب النفسية والاجتماعية والى مقدار الثقة والاعتزاز او الشك ومركب النقص الذي يتميز به أبناء حضارة من الحضارات . وتبدو (نظرية) دارون في (النشوء والارتقاء) خير مثال نضربه في هذا المجال . فبينما نجد أبناء الغرب من انصار وتلامذة دارون انفسهميسعون للحصول على المزيد من اليقين العلمي ، والمزيد من (التطوير) و (الملاءمة) بين النظرية وبين الحقائق الجديدة التي تتمخض باستمرار .. ويفترق عنهالكثيرون ، وهم معتزون واثقون بوجهات نظرهم المخالفة — بشكل من الاشكال — للاصول الاولى .. نجد أبناء الشرق يغمضون اعينهم المصابة بالرمد إزاء البريق الوهّاج الذي انبثق أول مرة عن نظرية دارون رغم اعتراف صاحبها بخطورة فجواتها ، وظنيتها .. ويقولون كالدراويش ، الذين يهتزون حمدا وتسبيحا عند كل عبارة — ان ما قاله (الاستاذ) هو الحق المطلق ، واننا يجب أن نطوّع كل أفكارنا وثقافتنا وتجاربنا ومعطياتنا

الثقافية وفق تلك النظرية . . وحتى (تفسيرنا) للقرآن الكريم يجب أن (نوجهه) في الطريق التي تلتقي في النهــاية بما طرحه داروين !!

صحيح إنه لا توجد لدى الشرقيين الوسائل والظروف والقدرات التجريبية الكافية لاختبار صحة أو خطأ نظرية ما من نظريات (العلم) الغربي . وبالتالــي فإننا لن نطلب منهم أبدا التصدي لفحصها ومعارضتها أو تأييدها (علميا) ، لان جوابهم حينذاك معروف . ولكننا نريد فقط أن ننبههم الى ضرورة أن يكونوا أكثر (موضوعية) واخلاصا للنظرية ذاتها عن طريق ملاحظــة وتتبــع معطيات الغربيين انفسهم ــ بما فيهم تلامذة ورفاق داروين ــ بصدد النظرية . وحينذاك سيعرفون أن ما كل نظرية تطرح هناك تغدو قانونا معمولا به ، أو قضية مسلّمة لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وانها لا بد وان تجتاز مئات الامتحانات والاختبارات والفحوص ، ويسقط عنها عشرات التخمينات والاستنتاجات (الظنية) كي يؤخذ بها أمرا مسلّما . . وربما ادى ذلك كله بالنظرية الى أن تتجــه وفق مسارات معاكسة تماما للمنطلقات الاولى !! نريد منهم ــ فقط ــ الا يكونوا ــ كما يقول المثل ــ ملكيين أكثر من الملك !!

إن الفرق الاساسي بين ابناء حضارة حية متطورة مبدعة وبين اناس لا يملكون حضارة ، او يحيون تقاليد حضارة في طريقها الى السقوط ، هو ان هؤلاء الاخيرين يأخذون بمبدأ التسليم المطلق بكل ما يطرحه العلم او الثقافة ، دون ان يحاولوا فحص وتجريب مــدى صحـــة او خطأ هذه الطروح . اما الاولون فانهم لا يكفون أبدا عن الفحص والتساؤل والتجــريب لأن جديتهم و (موضوعيتهم) تعلمهم حقيقة ان العلم لن يقف يوما عند عتبة سلم إلا ليتجاوزها الى عتبة اخرى ، وأن معطيات العلم كثيرا ما ينقض بعضها بعضا ، وينسخ بعضها بعضا . ومن ثم فان (الركود) عند درجة في السلم تعني ان (المحرك) الأساسي للصعود قد توقف ولن يكون بعد ذلك تطور أو تقدم بمفهومهما الصحيح العميــق . . وهي ظاهرة سالبة ما مارستها حضارة من الحضارات الا وكان ذلك يعني انها فــي طريقها الى نهايتها المحتمة . .

في مسرحية برنرد شو (أكثر صدقا من أن يكون صادقــا) يقول أحد الأبطال : « أجل يا سيدي ، كون إسحق نيوتن . . قد تهاوى . . أمــام نقــد آينشتاين ، وقد كان كون نيوتن دعامة التصميم الذهني . . وكان في الوسع حساب كل شيء . . وكان كل شيء يحدث لانه يجب أن يحدث . . والآن ، الآن ماذا يبقى ؟ كل شيء هو وهم . . العالم الذي كان حسابه ممكنا صار صعبا على الحاسبين » . وفي بحث (العقل في منتهى حدود الاحتمال) لــ (هـ . ج . ولز) ترد هذه العبارات « لقد جدّت على الحياة غرابة مفزعة . ان الحــوادث التي حدثت حتى الآن تتميز بنوع من المعقولية والمنطقية ، تماما كما يضبط قانــون الجاذبية الأجرام السماوية . أما الآن فيلوح ان ذلك التسلسل قد اختفى » !! (١)

ونحن هنا لن نطيل على القارىء بعرض مواقف الغربيين ، فلاسفة وعلماء ، إزاء الدارونية ، ولكننا نمر ببعضها مسرعين ، من خلال كتاب (سقوط الحضارة) حيث التحليل الذكي لهذه المواقف .

يقول كولن ولسن ، مؤلف الكتاب المذكور « ان ما فعله توينبي هو انه أدلى بحقيقة رئيسية ضد المادية ، اذ لا يعتمد الافراد فقــط على الطاقــة الابداعية

المطورة . وانما تعتمد الحضارات ايضا على تلك الطاقة . وهذا مضاد للماركسية تماما ، لأن الماركسية تقول : ان الحضارات تتطور وفقا للضغوط الاقتصادية ، وليست هنالك ارادة حرة . اما توينبى فانه يقول : ان الحضـــارات تزدهر أو تتدهور وفقا للطاقة الاخلاقية التى تتميز بها (الاقلية المبدعة) ، ولهـــذا فان عبارة (الطاقة الاخلاقية) تكون عديمة المعنى اذا لم توجد هنالك ارادة حرة .

« ويجدر بنا ان نلاحظ أن ثورة توينبى ضد المادية تتبع نفس الخطوط التى تتبعها ثورة لامارك ضد داروين . ولقد كان تطور داروين ماديا فقط . فاذا كانت الزرافات موجودة اليوم برقابها الطويلة فذلك لأن الزرافات التى كانت قصيرة الرقاب انقرضت لأنها لم تكن تستطيع ان تبلغ الأشجار العالية ، فى حين أن الزرافات طويلة الرقاب تكاثـــرت وصارت تنتج زرافات أخرى برقاب أطول .

« ويسمى داروين هذا : (بقاء الأصلح) أو (الاصطفاء العرضى) ، وهو يعنى بذلك أن تعيين نوع الزرافات التى نعتبر اكثر صلاحا كان امرا عرضيا . اما لامارك فقد قال : ان للزرافات رقابا طويلة لانها كانت تريد أن تكون لها تلـــك الرقاب (!!) وانه حين قل الطعام على الأغصان المنخفضة من الأشجار ، بدأت الزرافات تحاول ان تبلغ الأغصان العالية وبذلك تكون قد (ارادت) أن تكون لها تلك الرقاب الطويلة .

« ويتضح لأى عاقل (!!) أن فكرة لامارك اصح من فكـــرة داروين ، لأن الانسان يستطيع أن يقوى عضلاته ، أو أيـــة قابلية أخرى . اذا كان بقاؤه يعتمد على ذلك . ان الظروف الصعبة لا تقتل الانسان ـــ الامر الذى اوضحـــه داروين حين قال ان ذلك هو ما حدث للزرافات قصيرة الرقاب ـــ وانما تمثل تلـــك الظروف تحديا يستجيب لـــه المرء ، وهذا هو التطور اللاماركى » (٢) .

اما برنارد شو فانه يقول ،فى مقدمة مسرحيته (العودة الى ميتوشالح) . . « ان داروين اراد أن يجعل الحياة مجرد ميكانيكية حياتية ، وان لامارك كان قد جاء بنظرية اقوى عن التطور قبل داروين . وقال لامارك ان الاجناس تتطور لانها تريد أن تتطور ، اما داروين فانه يقول انها تتطور اتوماتيكيا نظرا لتغيير ظروفها » . . ويقول فى نفس المقدمة : « . . . لم يكن الناس قادرين على أن يفهموا . . لماذا كنت اخشى الدارونية الجديدة (٣) ، واعتبرها حماقة مفزعة ، واهاجم دعاتها بعنف وحدة » . ثم يتحدث عن النتائج المفزعة التى تمخضت عنها المادية الدارونية فى السياسة ـــ وهو هنا يشيرالى حرب ١٩١٤ ـــ ويقـــول مثل توينبى ، أن الحضارات تسقط فى اللحظـــة التى تكون فيها قوة الانسان اشد من قوة الدين « اى أمل هناك اذن فى أن تسير الانسانيـــة الى الافضل ؟ اذا كان الداروئيون الجدد والميكانيكيون لا يعتقدون أن هنالك شيئا من الامل ، لان التطور لا يحدث الا بصورة عرضية لا تدبير فيها ولا حكمة . .؟

بيد ان هذه العقيدة الشقية لا تثبط عزائم اولئك الذين يؤمنون بأن الدافع الذى ينجم عن التطور هو خلاق . وقد لاحظوا حقيقة شديدة البساطة ، وهى أن الارادة التى تصر على شىءتفعلهفىالنهاية ، وهى تستطيع فى لحظات معينة من التركيز الذى تبلغه لايمانها بالحاجة اليه ، ان تخلق وتنظم كيانا جديدا ، ولهذا فهؤلاء لا يعتبرون الجنس البشرى لعبة لا ارادة لها » . وقد أشار وايزمان عالم الاحياء البارع الذى هبطت بـــه الدارونية الجديدة الى مستوى الحماقة ، الى ان الموت ليس حالة ابدية فى الحياة وانما هو حادث عرضى يفيد للتجديد الدائم ، ولتجنب ازدحام الارض !! (٤) .

ويوضح برناردشو بعض الأمور بوضوح وتأكيد شديدين : كأهمية المسألة الدينية المتمثلة في النظام ، في الضبط الذاتي : « لما لم يكن في الداروانية مجال للارادة الحرة ، او ايـة ارادة اخرى ، فان الداروانية الجديدة تعتقد بأنه ليس هنالك ما يدعى الضبط الذاتي . ومع ذلك فان الضبط الذاتي هو الميزة الوحيدة لقيمة البقاء التي نجد ان اختيار الظروف يجب دائما ان يؤدى اليها في المدى البعيد . وقد يتم اختيار صفاتغير منضبطـة لتبقى وتتطور لفترات معينة في ظروف معينة . اذ لما كان النهمون هم الذين يكافحون اشد الكفاح من اجل الطعام والشراب ، فان جهودهم تطور قوتهم وبراعتهم في فترة قصيرة جدا ، بحيث ان اقصى ما في وسعهم أن يفعلوه لا يمكنهم من ان يأكلوا أكثر مما يستطيعون . ولكن اى تغيير في الظروف يأتيهم بمقدار كبير من الطعام يدمرهم . ونحن نرى هذا الامر يحدث دائمـا . اذ نرى فقيرا قـويا صحيح البنية يصبح مليونيرا بالصدفة التي غالبا ما تحدث في التنافس التجاري ، وسرعان ما يبدأ بحفر قبره بأسنانه . اما الانسان المنضبط ذاتيا فهو يظل على قيد الحياة في تغيرات الظروف لانه يعد نفسه لها ، فلايأكل أكثر من قابليته ولا اقل منها ، وانما يأكل بالقدر الذي ينفعه . فما هو الضبط الذاتي ؟ انه لا شيء سوى الحيوية المتطورة ، المتحكمة في الشهوات العادية والمنظمة لها ، فاذا اغفلنا وجود هذا المفهوم السامـي ، واذا فشلنا في فهم البدهية الواضحة من ان النوع هو الذي يميز من يستحق البقاء ، كما تفعل المادية الداروانية الجديدة باسم الاصطفاء الطبيعي ، فان هـذا ليدل على حاجة علماء هذه الفكرة الى فهم موضوعهم نفسه ، كما انه يـدل على عدم ملاحظتهم للقوى التي يتم بموجبها الاصطفاء الطبيعي » !! (٥) .

★ ★ ★

ان توينبى او كولن ولسون او برنارد شو او أيا مـن المفكرين الغربيين الذين تناولوا نظرية داروين بالنقد والتمحيص ، لو كان يعلم ـ يقينا ـ أن ما جاء به داروين هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، لكان من السخف أن يتعرض لمناقشة (يقين) كهذا بعبارات تخمينية كهذه (أرى .. يرى .. ضرورة فهم موضوعهم نفسه .. يدل على عدم ملاحظتهم .. هبطت بـه الى مستوى الحماقة .. جاء لامارك بنظرية أقوى .. ويتضح لأى عاقل .. الخ) ، لكنه يعلم ـ قطعا ـ أن رفيقـه يبنى الاجزاء الكبرى مـن نظريته على الظن والتخمين والترجيح كذلك !! فهى ـ من هذه الناحية ـ اشبه بنظرية فلسـفية يحق لكل باحث في حقول الفلسفة أن يأخذ منها ما يراه حقا ويدع ما يراه باطلا متهافتا ، ونحن رايناناقديهانفسهم يقعون في خطأ الظن بأن للزرافة ارادة ذاتية في تطوير رقبتها من اجل ان تصل الى غذائها المعلق على الغصون العالية !!

ان معطيات داروين لم تقم جميعا على مسلمات علمية منبثقة عن عينات حياتية توفرت لديه في جميع مراحل بحثه .. بل ان هذه العينات لم تخدمه سوى في مساحات ضئيلة من مسيرته التجريبية وملاحظاته الاستقرائية ، اما المساحات الأوسع فقد غطاها بالظن والترجيح والتخمين .. ولذا فليس من المستحيل على اولئك المفكرين الواثقين بأنفسهم أن يناقشوا داروين ويحاسبوه على تخميناته وان يأخذوا من نظريته ويدعوا حسبما يملى عليهم تفكيرهم ومتابعتهم العلمية ونتائج الأبحاث والحفريات والكشوف الجديدة التي لا تقف عند حد الا لتتجاوزه الى آفاق اخرى ..

انظا اذا سايرنا وجهـــة نظر داروين فى حدوث طفرات فى تطور بعض الانواع فاننا لا بد وان نجد انفسنا امام هذا السؤال : لماذا لا تخطىء هـــذه (الطفرات) يوما ـــ كما أو نوعا ـــ فتؤدى الى ظهور (نوع) او (أنواع)تسبب دمار الحياة على الارض ؟ الا يعنى هـــذا انه ـــ حتى على فرض الايمان المطلق بالطفرة ـــ فان هناك قوة عاقلة تشرف على توجيهها لصالح الحياة ؟ او على الاقل تمنح الانسان العاقل قدرة وذكاء على التحدى والمجابهـــة ؟ واذا كانت (الطبيعة) تهيىء لكل مخلوق وسائله الخاصة لحمـــاية نوعه من الانقراض ، فهل هذا يعنى انها تملك البصيرة الناقدة التى تمنعها من أن يكـــون للانسان منشـار كمنشـار التماسيح ، فضلا عن عقله ؟ الا يمكن أن تقع فى الخطـــأ ـــ يوما ـــ وتمنحـــه وسيلة مادية (زائـــدة) للدفاع عن نفسه ؟ الا يعنى هـــذا أن (الطبيعـــة)فىتقسيمها المنطقى لوسائل الحماية على المخلوقات ، تفكـر وتعقل ؟!

ان الله سبحانـــه ، وهو القدير الخلاق ، شاء أن تكون الارض ـــ وقد هيأها اساسا لتوالد الحياة ونموها وحمايتها ـــ مسرحا لعرض قدراته الخلاقة فى تشكيلة من المخلوقات البسيطـــة او المعقدة ، ذات الاشـــكال والتراكيب المعجزة . . ونحن أمام فرضين لا يصطدم اى منهما بأى من الحقائق الدينية عامة والقرآنية على وجه الخصوص ، بل العكس يسايرها ويوضحها . . أحدهما خلق مباشر (مستقل) لحشد هائل من المخلوقات المتمايـــزة ، وهو لن يعجز الله سبحانه وهو الذى خلق الكون فى ستة أيام ، واتاح للارض امكانية الحياة فوقها بشكل معجز خارق من بين ملايين السدم والنجوم .

واما الاحتمال الآخر فهو اتاحة المجال للطبيعة والاسباب والسنن أن تعمل عملها ـــ على مدى الأزمان الطويلة ـــ فى تطوير الحياة على الأرض ، فيما سماه داروين (الانتخاب الطبيعى) ، وذلك بتطوير المخلوقات (الحية) والتدرج بها من شكل الى شكل فى مواجهـــة تحديات البيئة . . وهو أمر يحدث ليس فقط على نطاق الحياة وانما على نطاق (التطورات الجيولوجية ، المناخية ، الكونية بصورة عامة حيث الاتساع المستمر كما يؤكد القرآن الكريم) . . الا أن تلـــك السنن والنواميس التى (تضبط) هذا التطور و (توجهه) لا يمكن بحال أن توجد من العدم لكى تمارس مهمتها العاقلة الدقيقة المعجزة هذه !!

ان قدرة الله سبحانه علىخلقأنواع شتى من الموجودات بهذا التنوع ، توحى بأن هناك تدرجا فى الخلق من الاشكال البسيطـــة الى الاشكال العليا ، ونحن لا نستطيع التسليم المطلق بهذه الفكرة ، الا اننا يجب أن نلاحظ بأن اللـــه سبحانه ما دام قد هيأ أرضية للحياة على سطح الارض بمواصفاتها وتركيبهـــا المعروف فلا بد اذن أن يكون هناك قاسم مشـــترك اعظم فى طبيعـــة التكوين البيولوجى لسائر المخلوقات الأمر الذى يمكن أن نلمسه فى تكوين (الخلية) . . وهذا القاسم المشترك انما هو الدليل الذى لا ريب فيه على أن وحدة الخلق من وحدة الخالق . . ترى لو أن ظروفا ذات سمات ومواصفات أخرى للحياة قد هيأها الله سبحانه على سطح كوكب آخر ، الا ينتج عن هذا تكوين بيولوجـــى لمخلوقاتـــه يختلف ـــ بشكل من الاشكال ـــ عما فى الارض لكى يكون ملائما لظروف ذلك الكوكب ؟ . . من الذى يحدث هذه المواءمة الحيوية بين المخلوقات

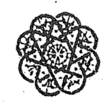
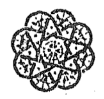
جميعا وبين الأرضية التى تتحرك عليها وتحيا فوقها ؟ من الذى هيأ للأحياء جميعا — على سبيل المثال — قدرة حيوية على امتصاص الاكسجين أو الكاربون وتمثله ؟ الا يدفعنا هذا الى تخمين معاكس لفرضية داروين وهو أن تشابه الاوليات الحياتية لفصائل المخلوقات لم يجىء لانها تطورت عن بعضها وانما لانها بخلقها (المستقل) تشترك جميعا بتعامل واحد ازاء ظروف حياتية واحدة تفرض على الكائنات الارضية جميعا أن تأكل وتشرب وتتنفس وتنام ؟!!

و (مندل) ، عالمالحياةالمشهور ، الا يقرر أن كل نوع — على الاقل فى الفترات الأخيرة من تاريخ الحياة وهى الفترات التى تخضع للفحص والتجريب وليس للظن والتخمين — يحتفظ بخصائصه ومميزاته الوراثية التى تحمى نفسها وفق قوانين غاية فى الدقة والاعجاز ؟؟ الا يتعارض فى هذا مع نظرية داروين التى تلغى الصفات والميزات ؟ ان فصائل القرود العليا وقفت — فيما يبدو — عند مرحلة من الادراك والقدرة على الابداع والتنفيذ لا يمكن مقارنتها — بأى حال — بمدركات الانسان (وهذا الفرق الأساسي هو ما اكد عليه هكسلى احد رواد نظرية النشوء والارتقاء) .. ولقد اثبت علم النفس انه عن طريق (تجربة الخطأ والصواب) يمكن تعليم ، حتى القطط والكلاب ، على العديد من الحركات والمهارات التي تمارسها فصائل القرود .

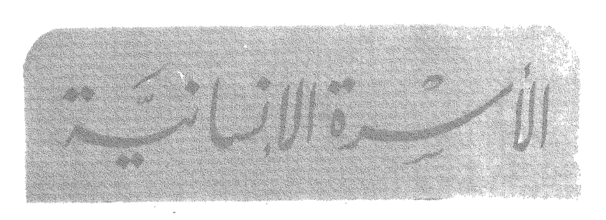
★ ★ ★

لقد عجز داروين تماما عن تحديد مصدر الحياة الأولى على الأرض .. وقال — يوما — متحدثا عن مشاهداته لتركيب العين المعجز « كلما تذكرت مشاهدتى لتركيب العين هزتنى قشعريرة .. أنا لا اعتقد انه ليس هناك اله » !! .. واعلن هكسلى بعده ، عن ضرورة اجراء تعديلات جوهرية على صلب النظرية .. وأما الفلاسفة والمفكرون الأوروبيون امثال توينبى وبرناردشو فقد ابدوا تشككهم ازاء الكثير من تخمينات الداروينية ، خصوصا تلك التى تنفى حرية الانسان وارادته الذاتية فى تطوير امكانياته على نطاق الحياة الخاصة والحضارات ..

أما نحن فهل سنظل أسرى حضارتنا الضائعة ، وقيمنا المشوهة ، ونغدو ملكيين أكثر من الملك ؟!

(١) كولن ولسن : سقوط الحضارة ، الطبعة الثانية ، ص ٣٥٠ (ترجمة انيس زكى) .
(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ و ١٥١ .
(٣) تمييزا لها عن نظرية لامارك التى سبقتها .
(٤) عن سقوط الحضارة ص ٣٣٩ .
(٥) المصدر السابق ص ٣٤١ و ٣٤٢ .



للشيخ سعد المرصفى

● الانسان جسم وروح ، قلب وعقل ، عواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ، ولا يرقى رقيا متزنا الا بعد أن يدرك كنه ذاته ، ويتعرف حقيقة نفسه ، ويتبين معالم الحياة الانسانية السعيدة التى لا تدرك الا فى ظل الموازنة بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح . وهذه الموازنة لا ولن توجد الا فى رحاب الدين الحنيف .

● ولطالما عانت الانسانية — فى القديم وفى الحديث على سواء — من المادية الطاغية ، التى مالت بالانسان عن تلك الموازنة ، فشقى الناس نتيجة البعد عن وحى السماء .

● وأن تقدم الاكتشافات العلمية ، وما ترتب عليه من سهولة اتصال الانسان باخيه الانسان . مهما نأت البلدان . جعل التيارات الفكرية المختلفة الاتجاهات . والآراء المادية الخاضعة لمختلف المؤثرات . كلها تتطاير الى الانسان بسرعة خارقة . وتلح عليه فى جراة عجيبة أن يعيش أسيرها .

● ومع أنها افكار مادية أرضية ، فقد انتشرت بين الناس بتلك السرعة العجيبة . ودقت عليهم أبواب العقول بطريقة مثيرة حقا . تحمل فى طياتها غطرسة الانسان وكبرياءه .

● ولذا تعيش الانسانية — رغم تقدمها العلمى — بقلوب معلقة . ونفوس مضطربة ، لا أمن ، لا سلام ، لا هدوء . حروب هنا وحروب هناك . وقلق هنا وقلق هناك . لا فرق بين منطقة وأخرى . فالعالم كله يعيش المأساة . ويصطلى بنارها . رغم أنه وقع فى حربين عالميتين فى فترة وجيزة ، أزهقت فيها الارواح ، وسفكت الدماء .

● وكل ما تنتق عنه ذهن البشرية هو ميلاد مجلس الامن فى اليوم الرابع عشر من اغسطس سنة ١٩٤١م حين وقع روزفلت رئيس الولايات المتحدة . وتشرشل رئيس وزراء انجلترا . ميثاقا غليظا ، أطلقا عليه « ميثاق الاطلنطى » تلمسا فيه للعالم سلاما يؤكد لجميع الناس فى

جميع البلاد أنهم سيحيون حياتهم فى أمن من الخوف والحاجة . ثم وقع ممثلو الدول المجتمعة فى واشنطن فى اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٤٢م وسجلوا فيه تضامنهم للدفاع عن حقوق الانسان . وجاء فى الديباجة :

« نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على انفسنا أن تنقذ الاجيال المقبلة من ويلات الحروب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف . وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان ، وبكرامة الانسان وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . وأن نهيء الاحوال التى يمكن فى ظلالها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات » .. الى آخر ما ورد فى ديباجة ميثاق الامم المتحدة ...

● وبعد فترة وجيزة . طرد عرب فلسطين من وطنهم . وسرقت املاكهم . واخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . واحتلت اسرائيل أرض فلسطين بمساعدة ومشاركة الذين ابرموا هذا الميثاق .

وهنا نتساءل : ما الدافع لكل ذلك ؟!!!

وللاجابة على هذا السؤال لا بد لنا من أن نضع ايدينا على حقيقة الصهيونية أولا ، ثم على الاسباب التي دفعت هؤلاء الى هذا الموقف المخزى .

١ ـ خطر الصهيونية

يدرك العالم كله خطر الصهيونية . واليك ، على سبيل المثال ، ما قاله الرئيس الامريكي « فرانكلين » لشعب الولايات المتحدة :

أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد الولايات الامريكية وذلك الخطر هو « اليهود » .

أيها السادة : حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب . ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . انهم لا يندمجون بالشعب . لقد أقاموا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا ... واذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور ففي أقل من مائة سنة يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا . ويدمروننا . ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لاقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا .. اذا لم يستثن اليهود من الهجرة الى الولايات المتحدة فانه لن يمضي أكثر من مائتى سنة ليصبح ابناؤنا عمالا فى الحقول الى الابد . فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم ... أن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه ، فاليهود خطر على البلاد واذا دخلوها! فسوف يخربونها ويفسدونها » .

وكان هذا الخطاب بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور فى سنة ١٧٨٩ م .

واليهود فى أمريكا يمثلون ٣٪ فقط من تعداد السكان . وهذه النسبة الضئيلة تتحكم فى ٣٠٪ من اقتصاد أمريكا ونفوذهم وتأثيرهم يمسك بعقل أمريكا . ويسيطر على جوانب الحياة الامريكية . وسر هذا كما يقول المفكر الاسلامى وحيد الدين خان انهم ادركوا أنه توجد امكانات عديدة تؤثر على جميع نواحى الحياة مثل التجارة والاعلام . ولذا تجدهم يملكون وكالات صحفية ، ومؤسسات كبرى . فى الوقت الذى تجدهم يهتمون الاهتمام البالغ بتنشئة الاجيال

اليهودية الجديدة في كل مجـالات التخصص العصري لدرجـة ان الامريكي اذا أراد باحثا ممتازا أو مديرا ممتازا فليس أمامـه الا اليهودي . وبذلك سيطر اليهود على جميع مجـالات الحياة حتى داخـل أمريكا . والآن هم يحاولون زيـادة عددهم عن طريق التبشير . مع أنهم قوم ماجنون عابثون حتى بالمقدسات التي يدينون بها .

ازمة الضمير الصهيوني :

واليك هذه الصورة التي تبين لك ازمة الضمير الصهيوني ، نقلها الينا المرحوم الاستاذ الدكتور منصور رجب في محاضراته في فلسفة الاخلاق في كلية اصول الدين . قال رحمه اللـه تعالى :ــ

ومن غريب ما رايت في أزمـة الضـمير أن بعض النـاس يوجههم ضميرهم السيء توجيهـا أقسى ما يمكن ان يكون فظاعة وغلظة . وليس وجه الغرابة في شدته أو في خطئه . ولا في فظاعته وغلظته . وانما وجه الغرابة في أن يوجههم ضميرهم هذا التوجيه الوحشي على انه دين .

« في مكتبة سماحة السيد الحاج امين الحسيني في مصر الجديدة ، اطلعت على كتـاب « صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية » بقلم حبيب افندي فارس .

فيه أن من فروض اليهود الدينية ان يعجنوا فطير الفصح بـدم البشر « غير يهودي » وهذا الفطير لا يعطي منه عادة الا للاتقياء من اليهود ..!!

والكتاب يروي حكايات كثيرة عن هذه الذبائح ...!!!

منها ذبيحـة اعتـرف فيها احد الذابحين بعد أن أمن على أن يكون « شاهد ملك » . وكان استجـواب الذابح يوم الجمعة ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٠ بحضرة صاحب الدولة « شريف باشا » وقنصل دولة فرنسا ...

وهنا ننقل لك بعض فقرات من هذا المحضر ص ١٥٧ .

س : لماذا تقتلم ؟

ج : لقد قتلناه لاجل الحصول على دمه ، وبعـد أن وضعنا الـدم في « قناني » ارسلناه الى .... وكنا نصنع ذلك اعتقادا بأن الدم ضروري لاتمام فروض دياناتنا ...

وفي ص ١٦٤ كان السؤال الآتي :

س : قلت بأنهم اخذوا الدم لاجل الفطير ، مع أن الـدم عند اليهودي محرم نجس ، فكيف هذا التناقض ، فسر لنا بوضوح ؟!!!

ج : بموجب التلمـود ، دمـان مقبولان . دم الفصح ، ودم الطهور . أهـ .

وقد سجلـت الذبائح التلموديـة الكثير من الصور التي اقترفت باسم الدين اليهودي .

وشاء اللـه سبحانـه ان المس بنفسي حقيقة الجبن والنذالة عنـد اليهود . ضرورة وجودي مع أحدهم ويدعى « أوري ليفن » وكان ذلك في اوائـل الخمسينات فرأيت ازمـة الضمير . وفسـاد العقيدة . وكلاحة اليهودي شاهـدي عيان ... ولا استرسـل مع الاحداث . فاليهـود طاعون خبيث أصـاب بعض أطراف جسـد الامة الاسلاميـة . ولا سبيل الى اخراجه الا بانتفاضة قوية تعزله تماما عن مواطن الاصابة القاتلـة ، وتوقف شره ، وتقضي عليـه . فهم أصحاب باطل دائما ، والباطل يغور ثم يغور . والحق لا محالة منصور . ومثلهم دائما كما قال الله عز وجل « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين » . ولذا تجد حزب الشيطان وجنده يقفـون بجانبهم . انظر الى العالم بمنظار الدين الحق تجد الذين لا يدينون بالاسلام قد أمالي

كل منهم بدلوه فى فترة من الفترات ولاء لهـذا الشيطان ، وطمعا فـى القضاء على حزب الـرحمن . وهنا يجيء الحديث عن السبب الذى جعل هؤلاء يقفون هـذا الموقف المخزى . وهو العداء للحق بهـذه الصـورة المؤلمة .

٢ ـ العداء للحق واسبابه :

يشهد التاريخ قديما وحديثا علـى سواء بأن منشأ ذلك كله هو العصبية المادية التى لا تتسع للمعانى الروحية والحقد الاعمى على تلك الامة التى حملت مشعل الحضـارة واضاءت معالم الحياة ، وارسـت أصـول العدالة ، فكـانت صاحبة التـاريخ المشرق الـوضـيء المضيء . ورفعت راية الاسلام عالية خفاقة فوق ربوع الدنيا كلها شرقا وغـربا وشـمالا وجنوبـا . لهذا كان العـداء بهذه الصورة . وكان الراى أن تنشأ اسرائيل انشاء فى جسد الامة التى كان يهابها العالم كله . لانها صانعة النصر . وحاملة لواء الحق . ورافعة رايـة الانسانية .

وقبل ذلك بفترة من الزمن كـان مؤتمر التقسيم الـذى قسم وجزأ اعضاء هذا الجسد القوى . ثم كان الاعداد لانشاء اسرائيل فى مؤتمرات بال فى سويسرا عام ١٨٩٧ .

وفى هذا الجو العالمى الذى تهيأت اسبابه من كل الوجوه ، حتى مـن ناحية المسلمين انفسهم ، كان التنفيذ على مراحل . وفى هذا يقول هرتزل الصهيونى فى كتابـه « الدولـة اليهودية » لو طلبت الـى تلخيص أعمال مؤتمر « بال » فانى أقول ، بل أنادى على رءوس الاشهاد : انـى أسست اليهودية . وقد يثير هـذا القول عاصفة مـن الضحـك هنا وهناك . ولكن العالم بعـد خمسة أعوام . أو بعد خمسين عاما سيرى من غير شك قيام الدولة اليهوديـة حسبما تمليه ارادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » ثم كان وعد بلفور . وبعده قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ثم كانت الاحداث التى تعيشها الامة كلهـا . وهى حاضر لا يغيب عن الاذهان .

٣ ـ الصراع بين الحق والباطل :

والآن ، وبعد أن وضح الصراع بهذه الصورة بين الحـق والباطل . وان اعداء الحق ارادوا تجزئة الامـة الواحدة وتقسيمها حتى يسهل القضاء عليها . ويتم لهم ما يريدون . علينا ان ندرك أن الوحدة دين . وانها قوة وان يد الله مع الجماعة . وأن نصر الله للمؤمنين وعد حق . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وان ندرك أن العالم بين اتجاهين . **الاول** يميل الى السير فى طريق الغوايـة ، يقوده الشيطان الرجيم . يحاول جاهدا أن يقضى على اتباع الحق بكل الوسائل . وقضية فلسـطين شاهـد عيان . **الثانى** يدعو الـى الالتزام بتعـاليم السماء . وما علـى الانسان الا أن يطرح ما طرأ من عـوج . وينبذ ما ادخل من تحريف . وانى للانسان أن يميز وحده بين حق خالص . وحق خليط بزيف الذين حرفوا وبدلوا . كان اذن لا بد من الالتزام بكل ما جاء عن المعلم الصادق الامين . والعلم المكين المتين . أما المعلم الصادق الامين فهو حبيبنا محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليماته عليه . واما العلم المكين المتين فهو ما حواه القرآن الكريم من آيات وأحكام . وهذا هو السبيـل الوحيد الذى يجمع بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح فى الصورة المثلى . وهذا هو السبيل الوحيد الذى به يتحقق وعد الله بالنصر للمسلمين . والله لا يخلف الميعاد . « وعد الله الـذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ويروى الشيخان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله . هذا يهودى ورائى فاقتله » ومعنى ذلك ان الدائرة — لا محالة — دائرة عليهم . ولكن حين تتفتح القلوب على الايمان . ويجتمع المسلمون على مائدة القرآن . ويتأسون بالنبى محمد عليه السلام . رهبانا بالليل فرسانا بالنهار . ترى فى وجوههم نور الايمان . وفى نفوسهم طمأنينة اليقين .

٤ — محور القوة الغشوم وازمة العالم :

وفى هذا المعترك المزدحم بالتيارات المتناقضة والاعاصير المهتاجة . ومحور القوة الغشوم (واشنطن — موسكو) والحضارة الزائفة . والمدنية الكاذبة . فقدت المبررات الروحية . وفقدت حتى تلك التى تسمى « المبررات الاجتماعية » و « المبررات الموضوعية » واذا أردنا معرفة حقيقة المبررات الموضوعية فاننا نذكر ما قاله المفكر الاسلامى مالك بن نبى فى محاضرة له بعنوان « دور المسلم » قال : « نذكر على سبيل المثال ما كان لهم من ثقة بكلمتى العلم والحضارة . فقد كانت هذه الثقة هى منطلق الافكار الاوروبية فى القرن التاسع عشر . وفى بداية القرن العشرين . خصوصا قبل الحرب العالمية الاولى ، والصلة بين هذين الجانبين واضحة . فحينما يفقد حياة ما أو مجتمع ما مبرراته لا بد أن يقوم بعمليات تعويض . يستبدل مبررات قديمة أو تقادمت . أو فقدت تأثيرها فى الحياة الاجتماعية كدوافع قوية للحياة الفكرية والعملية والعسكرية والاقتصادية . يعوضها بمبررات جديدة . فاذا لم تأت عملية التعويض كما ينتظر منها بالمبررات الجديدة ، فما يحدث عنده ؟ تحدث الازمة الخطيرة التى يعيشها العالم المتحضر اليوم . فالعالم المتحضر يبدو أنه فشل فى عملية التعويض . سواء من الجانب الادبى كمحاولة الوجودية مثلا . أو من الجانب السياسى كمحاولة الرجوع لاصله الاوروبى بحثا عن منطلقات جديدة لافكاره ولنشاطاته الاقتصادية . فكأنما تقطعت أنفاسه ولم تعد فى متداوله تلك الاشياء المتينة التى كان يرتكز عليها فى القرن الماضى وبداية هذا القرن . وعندها . فان من الطبيعى أن من لا يجد سندا فى مسيرته التاريخية أن يقع فى حيرة وتيه وقلق . وهذا ما يفسر لنا ما نراه اليوم من حيرة قائمة فعلا فى العقول والنفوس والارواح . فاذا ما اجتمعت هذه الاشياء فعلا فى نفس بشرية فعندها يمكن أن نتصور ما تولده من دوافع سلبية . فاذا ما فقد مجتمع ما مبرراته ولم يستطع تعويضها بالطرق المشروعة فى محاولات مبذولة ، عندها يعتريه القلق . ويعتريه التيه . وتعتريه الحيرة . فماذا يترتب على هذا من تصرفات ؟ يترتب عليها التصرفات التى نراها فى أوروبا وامريكا اليوم . يترتب على هذا مثلا : أن نجد البلد الذى حقق الضمانات الاجتماعية الى اقصى حد مثل السويد

بتميز بشيء خطر . وهو أنه يتصدر
راس القائمة فى (احصائية الانتحار
العالمية) فظاهرة الانتحار فى العالم
يشكل فيها المكان الاول . البلد الاكثر
تقدما نسبيا من حيث الضمانات
الاجتماعية ... وهكذا . وهذا ان
عنى شيئا فانما يعنى أن البطون اذا
امتلأت لا تغنى النفوس ولا تشبعها.
اذا شبعت البطون قد تبقى الارواح
متعطشة . تبقى متعطلة . وحين لا
تجد وجهة تتطلع اليها تفضل هذه
الاستقالة من الحياة . هذا اذا ما
يحدث ، وقد يحدث فى بلاد اخرى
اكثر من هذا فى صورة ما . ويبدو أن
هناك صور اخرى للاستقالة من
الحياة . هى فى الحقيقة اشنع من
الناحية الاخلاقية . ولا اقول من
الناحية الدينية . فهى اشنع ، لان كل
صور خيبة الامل تتجلى فيها مع
شىء من العجز حتى عن القيام بهذه
المحاولة لاعدام النفس . وذلك ان
هذه المحاولة تتطلب شيئا من
الشجاعة . ولان الانسان فقد مروءته
الى درجة الفشل حتى فى التخلص
من الحياة بالطرق غير المشروعة .
فانه يفر منها عن طريق الموبقات .
عن طريق التدهور الاخلاقى ».. هذه
ى الصورة التى نستطيع تقديمها فى
، طوط عريضة عن الحياة فى المجتمع
المتحضر وعلى اى محور (واشنطن
موسكو) .

٥ ـ الافلاس هو طريق البداية

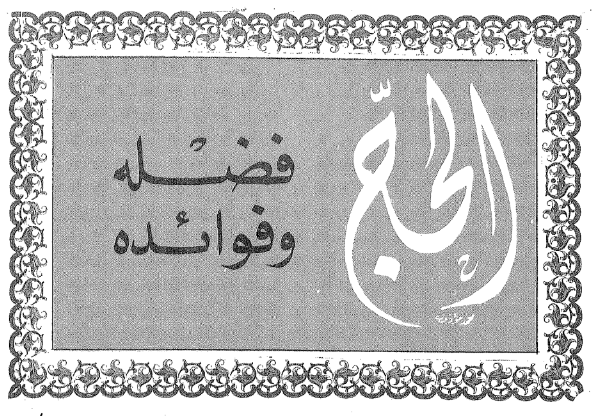
ولعل الله سبحانه يريد شيئا من
وراء هذا كله . كانما هذا استدراج
تسوق الاقدار فيه هذا العالم
المتحضر الى طريق حيث تنتهى فيه
اخطاؤ ، . ويثبت فيه فشله . ليفسح
المجال لتجربة أخرى جديدة عليه . لم
يعرفها من قبل عمليا . ولكنها فى
فطرته ووجدانه ، واحساسه
وشعوره . انها الحقيقة التى عرفها
قبل ان يخلق هذا العالم كله . انها
العهد بيننا وبين الله ربنا « واذ اخذ
ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على أنفسهم الست بربكم ؟
قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .
أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل
المبطلون. وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون) ، وانها الفطرة التى فطر
الله الناس عليها « فأقم وجهك للدين
حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولعل هذا الاستدراج الذى تسوق
اليه الاقدار اشبه بالاستدراج الذى
حدث بين الفرس والروم من قبل إبان
بعثة الحبيب محمد صلى الله عليه
وسلم . وهو ما عبرت عنه الآية
الكريمة « هو الذى ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون » وتلك الآية
مكية . وكانت فى بدء الدعوة . وفى
نقطة الصفر . وكانت الدعوة حينئذ
فى مكة لا تتعداها . وماذا تصنع
مكة ـ رغم أن المؤمنين كانوا قلة ـ
إزاء العالم كله . بل إزاء المشركين
فيها الذين لم يسلموا بعد .؟!!! ان
الآية تتحدى بحيث لو كان اناس هذا
القرن العشرين يعيشون تلك الظروف
بعقلانيتهم الحالية . وطرق تفكيرهم
الحديث وكفى لقالوا ان الآية تتحدى.
انها تتحدى امبراطوريتين . بل
وتتحدى حضارتين قديمتين كبيرتين .
امبراطورية وحضارة الفرس من
ناحية. وامبراطورية وحضارة بيزنطة
والبحر المتوسط بعامته من ناحية
اخرى . ولكن ماذا حدث ؟ حدث أن
تهاوت الامبراطوريتان . وسقطت
الحضارتان . وهيأ الله الاسباب
لقيام دعوته وانتشار دينه . وهذا

واقع نعرفه جميعا . والآن . فان سير التاريخ البشرى يستدرج العالم الى فشل تحققت مقدماته . بل وتحقق الجزء الاكبر منه . ولكن في يد من تكون عجلة القيادة حتى يقيم عوامل البناء بعد أن اصيبت الانسانية تلك الاصابات القاتلة بمعاول الفناء ؟

٦ — المؤمنون خلفاء الله في ارضه

ولا مناص اذا ما أراد العالم لنفسه سعادة وهناءة الا أن تكون عجلة القيادة في أيدى الذين يدينون بالدين الحق الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده دينا . « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « أن الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . وكانت هذه التسمية على لسان ابراهيم عليه السلام وأيدتها السماء . « وجاهدوا في الارض جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . وهذا الدين انتظم كل الانبياء والمرسلين « فهذا نوح يقول « وأمرت ان اكون من المسلمين » وهذا دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك » وهذه وصية ابراهيم ويعقوب عليهما السلام « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » وهذا الوحي الى الحواريين « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » وهذا هو ما دار بين عيسى عليه السلام والحواريين « فلما احس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون » وهكذا انتظم الاسلام كل المرسلين في رحابه . فليس بدعا اذن أن يكون المسلمون أولى بكل رسول من هؤلاء الذين ينتسبون زورا وبهتانا الى بعضهم وليس بدعا ايضا أن يكون المسلمون خلفاء الله في ارضه . والحاملين للرسالة . والداعين الى الله . وعلينا أن نعتقد اعتقادا جازما يظهر اثره في كل ما نقول ما يراه شاعر الاسلام محمد اقبال من أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار . ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار . بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية . ويفرض على البشرية اتجاهه . ويملى عليها ارادته . لانه صاحب الرسالة . وصاحب العلم اليقين . ولانه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه . فليس مقامه مقام التقليد والاتباع . ان مقامه مقام الامامة والقيادة . ومقام الارشاد والتوجيه . ومقام الآمر والناهى . واذا تنكر له الزمان . وعصاه المجتمع . وانحرف عن الجادة . لم يكن له أن يستسلم ويخضع . ويضع أوزاره . ويسالم الدهر . بل عليه أن يثور عليه . وينازله . ويظل في صراع معه وعراك حتى يقضى الله أمره . ان الخضوع والاستكانة للاحوال القاسرة . والاوضاع القاهرة . والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والاقزام . أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب . وقدره الذى لا يرد .



للشيخ عبد المحسن الحمد العباد

الحج عبادة من العبادات افترضها الله وجعلها احدى الدعامات الخمس التى يرتكز عليها الدين الاسلامى والتى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

وقد حج بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة حجته التى رسم لأمته فيها عمليا كيفية أداء هذه الفريضة وحث على تلقى ما يصدر منه من قول وفعل فقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم فلعلى لا القاكم بعد عامى هذا » . فسميت حجته صلى الله عليه وسلم « حجة الوداع » .

وقد رغب صلى الله عليه وسلم أمته فى الحج وبين فضله وما أعد الله لمن حج وأحسن حجه من الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخارى ومسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وفى الصحيحين أيضا عنه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى العمل افضل .. ؟ قال : ايمان بالله ورسوله .. قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : حج مبرور .

وفى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه عند اسلامه : « أما

علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله » . وروى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد .. ؟ قال : لا ولكن افضل الجهاد حج مبرور .

ويتضح من هذه الاحاديث وغيرها فضل الحج وعظم الأجر الذى أعده الله للحجاج ويتضح أن هذا الثواب العظيم انما هو لمن كان حجه مبرورا .

فما هو بر الحج الذى رتب الله عليه ذلك الثواب العظيم .. ؟

ان بر الحج أن يأتى المسلم بحجه على التمام والكمال خالصا لوجه الله وعلى وفق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وأن يحافظ فيه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وامتثال الاوامر واجتناب النواهى لازم للمسلم دائما وأبدا . ولكنه يتأكد فى الازمنة والامكنة الفاضلة لأن الله خلق الخلق لعبادته وهى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ..

قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا .. » وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

فيكون المسلم ملازما للطاعة وبعيدا عن المعصية حين حجه وقبله وبعده ليوافيه الأجل المحتوم وهو على حالة حسنة فتكون نهايته طيبة وعاقبته حميدة كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » وقال تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالخواتيم » .

ومن البر فى الحج أن يحرص أثناءه على التأمل فى أسراره وعبره والوقوف على ما فيه من فوائد عاجلة وآجلة وهى كثيرة اجملها الله تعالى فى قوله : « ليشهدوا منافع لهم » . وفيما يلى اشارة الى بعض هذه الفوائد والاسرار التى تضمنتها هذه الجملة من الآية :

أولا : ان صلة المسلم ببيت الله الحرام صلة وثيقة تنشأ هذه الصلة منذ بدء انتمائه لدين الاسلام وتستمر معه ما بقيت روحه فى جسده .. فالصبى الذى يولد فى الاسلام أول ما يطرق سمعه من فرائض الاسلام أركانه الخمسة التى أحدها حج بيت الله الحرام . والكافر اذا شهد شهادة الحق لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الشهادة التى كان بها من عداد المسلمين أول ما يوجه اليه من فرائض الاسلام بقية أركانه بعد الشهادتين وهى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام .

وأول أركان الاسلام بعد الشهادتين الصلوات الخمس التى افترضها الله على المسلمين فى كل يوم وليلة وجعل استقبال بيت الله الحرام شرطا من شروطها ، فصلة المسلم ببيت الله الحرام مستمرة فى كل يوم وليلة يستقبله مع القدرة فى كل صلاة يصليها فريضة كانت أو نافلة . كما يستقبله فى الدعاء .

وهذه الصلة الوثيقة التى حصل بها الارتباط بين قلب المسلم وبيت ربه بصفة مستمرة تدفع بالمسلم ولا بد الى الرغبة الملحة فى التوجه الى ذلك البيت العتيق ليتمتع بصره بالنظر اليه ولأداء الحج الذى افترضه الله على من استطاع السبيل اليه .

فالمسلم متى استطاع الحج بادر اليه اداء للفريضة ورغبة فى مشاهدة البيت الذى يستقبله فى جميع صلواته وليشهد المنافع التى نوه الله بشأنها فى قوله « ليشهدوا منافع لهم » .

فاذا وصل المسلم الى بيت ربه راى بعينى راسه أشرف بيت وأقدس بقعة على وجه الارض (الكعبة المشرفة) ملتقى وجهات المسلمين فى صلاتهم فى مشارق الارض ومغاربها .. وراى المسلمين مستديرين حول هذا البيت فى صلواتهم وأصغر دائرة هى التى تلى الكعبة ثم التى تليها وهكذا حتى تكون أكبر دائرة فى اطراف الارض ، فالمسلمون فى صلواتهم مستقبلين بيت ربهم يشكلون نقاط محيطات لدوائر صغيرة وكبيرة مركزها جميعا الكعبة المشرفة ..

ثانيا : اذا يسر الله للمسلم التوجه الى بيت ربه ووصل الى الميقات الذى وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحرام تجرد من ثيابه ولبس ازارا على نصفه الاسفل ورداء على نصفه الاعلى مما دون رأسه وفى هذه الهيئة من اللباس يستوى الحجاج لا فرق بين الغنى والفقير والرئيس والمرؤوس وتساويهم فى ذلك يذكر بتساويهم فى لباس الأكفان بعد الموت .. فان الكل يجردون من ملابسهم ويلفون بلفائف لا فرق فيها بين الغنى والفقير . فاذا تجرد الحاج من لباسه ولبس لباس الاحرام تذكر الموت الذى به تنتهى الحياة الدنيوية وتبتدىء الحياة الاخروية فاستعد لما بعده بالاعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصى وهذا الاستعداد هو الزاد الذى لا بد منه فى سفره الى الآخرة وهو الزاد الذى نوه الله بذكره فى قوله : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » ولهذا لما سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : متى الساعة .. ؟ قال صلى الله عليه وسلم له : « وماذا أعددت لها .. ؟ » منبها بذلك صلوات الله وسلامه عليه الى أن اهم شىء للمسلم أن يكون معنيا بما بعد الموت مستعدا له فى جميع احواله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات ..

ثالثا : اذا دخل المسلم فى النسك لبى بالتوحيد قائلا كما قال صلى الله عليه وسلم فى تلبيته : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. يقولها وهو مستشعر لما دلت عليه من إفراد الله بالعبادة وانه وحده الذى يخص بها دون ما سواه فكما أنه سبحانه وتعالى المتفرد بالخلق والايجاد فهو الذى يجب أن تفرد له العبادة دون غيره كائنا من كان ، وصرف شىء منها لغير الله هو اظلم الظلم وابطل الباطل . وهذه الكلمة يقولها المسلم اجابة لدعوة الله عباده لحج بيته الحرام . فيستشعر المسلم عظمة الداعى وعظم أهمية المدعو اليه فيسعى فى الاتيان بما دعى اليه على الوجه الذى يرضى ربه تعالى مع استيقانه بأن المدار فى هذه العبادة وغيرها من العبادات على الاخلاص لله كما دلت عليه كلمة التوحيد التى تضمنتها هذه التلبية وعلى المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرشد الى ذلك صلى الله عليه وسلم فى حجته حيث قال : « خذوا عنى مناسككم » .

رابعا : واذا وصل المسلم الى الكعبة المشرفة شاهد عبادة الطواف حولها وهى عبادة لا تجوز فى الشريعة الاسلامية الا فى هذا المكان وكل

طواف فى غير ذلك المكان انما هو من تشريع الشيطان ويدخل فاعله فى جملة من عناهم الله بقوله : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

ويشاهد أيضا تقبيل الحجر الاسود واستلامه واستلام الركن اليمانى ولم تأت الشريعة بتقبيل أو استلام شىء من الاحجار والبنيان الا فى هذين الموضعين ، ولما قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحجر الاسود بين أنه فعل ذلك متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم فى تقبيله اياه وقال : « ولولا انى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

خامسا : ويشهد الحاج فى حجه أعظم تجمع اسلامى وذلك فى يوم عرفة ، فى عرفة اذ يقف الحجاج جميعا فيها ملبين مبتهلين الى الله يسألونه من خير الدنيا والآخرة .

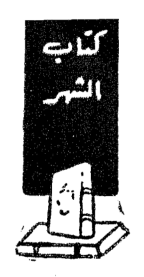
وهذا الاجتماع الكبير يذكر المسلم بالموقف الاكبر يوم القيامة الذى يلتقى فيه الأولون والآخرون ينتظرون فصل القضاء ليصيروا الى منازلهم حسب أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . فيشفع لهم جميعا الى الله عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليقضى بينهم فيشفعه الله . وذلك هو المقام المحمود الذى يحمده عليه الأولون والآخرون وهى الشفاعة العظمى التى يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل .

وفى هذا التجمع الاسلامى الكبير فى عرفة وكذا فى بقية المشاعر يلتقى المسلمون فى مشارق الارض بالمسلمين فى مغاربها فيتعارفون ويتناصحون ويتعرف بعضهم على أحوال بعض فيتشاركون فى الافراح والمسرات كما يشارك بعضهم بعضا فى آلامه ويرشده الى ما ينبغى له فعله ويتعاونون جميعا على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه بذلك ..

سادسا : ويشهد الحاج مظهرا عجيبا من مظاهر التعاون اذ يرى أرض منى كلها مغطاة بالخيام فلا يكاد يمضى يوم النفر الأول الا وقد عادت كما كانت تقريبا وذلك لقيام كل بما يخصه . فاذا قام كل مسلم بما يقدر عليه فى خدمة الاسلام وتعاونوا على ذلك فان المجهودات الفردية وان قلت تكون كثيرة بضم بعضها الى بعض ..

وهذه الفوائد القليلة التى أشرت اليها اشارة هى من جملة المنافع الكثيرة التى أجمل ذكرها فى قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » . وان أعظم فائدة للمسلم بعد انهاء حجه أن يكون حجه مقبولا وأن يكون بعده خيرا منه قبله وأن يحدث ذلك تحولا فى سلوكه وأعماله فيتحول من السيىء الى الحسن ومن الحسن الى الاحسن ..

والله المسؤول أن يوفق المسلمين جميعا للفقه فى دينه والثبات عليه وأن يمكن لهم فى الارض وينصرهم على عدوه وعدوهم انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه .



المناسك وأماكن طرق الحج

للامام ابى اسحق الحربى — تحقيق : الشيخ حمد الجاسر
عرض وتحليل : عبد العزيز جادو

لقد كنت احسب — كما يحسب غيرى من قراء الضاد فى أرجاء العالم العربى كله — أن استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالم محقق فحسب ، الى ان اكتشفت أن لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعده أيضا عالما من علماء الآثار ، وعلما شامخا من اعلامها المجيدين ، ورائدا من روادها القلائل . فهو — كما أرى — قد آلى على نفسه الا يدخر وسعا فى العمل بجد وامانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتنقيب فى المناطق الاثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة فى اية بقعة من البقاع ، وفى أى ركن من أرجاء المعمورة . وهو اذ يمارس هذا العمل الشاق انما يمارسه بفطنة العالم ببواطنه وخوافيه ، وبقدرة المتمكن من نفسه ومن عمله، والمقتدر على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر أن تتوفر لسواه من العلماء فى استكشاف تلك الآثار الثمينة القمينة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن أن تقع عليها من قبل الا عين بصيرة فاحصة كالتى ينماز بها استاذنا الكبير .

اما الآثار التى كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهى بالحق كنوز مليئة باللآلىء والدرر الغوالى . ثم هو — كما هى شيمته دائما — لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد أن تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ فى تنفيذه وترتيبه وازالة ما قد يكون عالقا به من غواش . ويظل يتعهده بعنايته الفائقة الى أن يضع عليه لمساته الاخيرة ويغدو عملا منسقا كاملا فيضعه بين يدى مقدريه فى تواضع

جبل عليه . وكان ذلك عليه هينا لأنه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .

واليوم يقدم لنا عالمنا الأثرى كنزا ثمينا من الكنوز القديمة التى عثر عليها وحققها ، يرجع اثره الى أوائل القرن الثالث الهجرى . فهو للامام أبى اسحاق الحربى عن (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

والامام الحربى هذا هو العالم الجليل ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم أبو اسحق الحربى ، (١٩٨ — ٢٨٥ هـ) ، من أعلام العلم والثقافة فى القرن الثالث الهجرى، كان جديرا بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لعمق تأثيره فى كثير من جوانب الحياة ، فى ذلك العصر ، دينية كانت أو لغوية أو جغرافية . ولد ببغداد واتجه لطلب العلم فى سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف أن المرء فى ذلك العهد يبدأ أول ما يبدأ فى الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للاخذ عنهم . وفى الثامنة عشرة من عمره بلغ فى علم الحديث درجة لا يبلغها الا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .

وفضلا عن الصلة التى تربط بين الامام ابن حنبل وبين الامام الحربى من انهما ينتميان فى الاصل الى بلدة واحدة هى (مرو) فان نشاط الحربى ، وعلو همته ، ورغبته فى تحصيل علم الحديث جعله يتصل بالامام احمد بن حنبل بعد أن تلقى ذلك العلم على صغار الشيوخ ، فكان له ما أراد .

وقد لازم الحربى الامام ابن حنبل من الثالثة والعشرين الى الثالثة والاربعين فى طلب علم الحديث . . وعلى هذا يمكن القول بأن الحربى قد تأثر أبلغ الاثر فى افكاره وآرائه بشيخه الامام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحا فيما أثر للحربى من آراء وافكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما اخرجت بغداد بعد الامام احمد ابن حنبل مثل الامام الحربى » .

وكان ابرز جانب نراه فى حياة الحربى العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه الى اللغة العربية دراسة وتأليفا . ولهذا فاننا نرى من ابرز آثاره كتاب (غريب الحديث) ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه ، ومحاولة ايجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار فى كتابة اللغة متأثرا بطريقة المحدثين ، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكانت ابرز سمة من سمات حياة الحربى الخاصة اعتزازه بكرامته ، وترفعه بها من أن تنال . انه يدرك أن العالم يجب أن يسمو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم ، أو يحط بقيمته . وكان رضى النفس كريمها ، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة ، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربى بمظهره الخارجى من حيث اللباس الا أنه كان يحرص على أن يظهر بمظهر الكمال من حيث الصفات الفاضلة .

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة ، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم ، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه فى التأليف الى نواح خاصة ، على نبله وكرم خلاله ، فهو يؤلف عن اكرام الضيف ، وعن ذم الغيبة ، وعن

الهدية والسنة فيها ، وعن الحمام (بتشديد الميم) وآدابه .

ولقد ضاعت جل مؤلفاته ، ولم يبق الا اليسير منها مما نجد ذكره مفرقا فيما وصل الينا من المؤلفات التى وصفها الخطيب بأنها كثيرة(١) ومنها :

١ ــ كتاب (اتباع الاموات) .
٢ ــ كتاب (الادب) .
٣ ــ كتاب (اكرام الضيف) .
٤ ــ كتاب (التفسير) .
٥ ــ كتاب (التيمم) .
٦ ــ كتاب (دلائل النبوة) .
٧ ــ الحمام وآدابه .
٨ ــ ذم الغيبة .
٩ ــ سجود القرآن .
١٠ ــ كتاب (السروى) .
١١ ــ كتاب (العلل) .
١٢ ــ غريب الحديث .
١٣ ــ القضاة والشهود .
١٤ ــ كتاب (المغازى) .
١٥ ــ كتاب (مناسك الحج) .
١٦ ــ كتاب (النهى عن الكذب)
١٧ ــ كتاب (الهدايا والسنة فيها) .

ولقد ترجم للامام الحربى كثير من المؤرخين منهم :

١ ــ على بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه فى كتابه (مروج الذهب) .

٢ ــ محمد بن أسحق بن النديم من أهل القرن الرابع الهجرى ، ترجم الحربى فى (الفهرست) .

٣ ــ الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه (تاريخ بغداد) .

٤ ــ القاضى ابو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ فى كتابه (طبقات الحنابلة)

٥ ــ ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ترجمه فى كتاب (معجم الادباء

٦ ــ ابن القفطى على بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ترجمه فى (أنباء الرواة) .

٧ ــ الامام محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ترجمه فى كتبه : (سير أعلام النبلاء) و (تاريخ الاسلام) و (طبقات الحفاظ) .

ومما جاء فى كتاب (مروج الذهب) عن الحربى : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ، وربما مزح مع بعض أصدقائه بما يستحى منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته ، وظريفهم » .

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير فى نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم فى جميع جوانب حياته، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام أبو أسحق الحربى، صاحب الاثر الذى نحن بصدده . أما الاثر نفسه الذى تركه لنا منذ قرون، وكاد أن يندثر وتأتى عليه يد البلى لولا أن وقع عليه أستاذنا الجاسر فأنقذه من الضياع فهو كتاب (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقراء يعد من أنفس الكتب التى تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التى تضيف الى ثقافتنا الجغرافية أشياء نافعة حقا . ولها فى تراثنا العلمى العربى قيمة علمية كبيرة جدا . أما الميزات التى يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الفخم الذى يبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير ــ فهى كثيرة ، أهمها :

١ ــ انه أثر ترجع نصوصه كلها

الى القرن الثالث الهجرى فما قبله عن علماء ورواة ذوى خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه . ومن هذا فانه يعتبر من أصول الدراسات القديمة فى تحديد المواضـــــع وفى مختلف النواحى الثقافيةالتى طرقها الكتاب .

٢ — وفى الكتاب تصــــــحيح لمعلومات خاطئـــة ، واكمال لاخرى ناقصة .

٣ — يوضح لنا هذا الكتابأصول اقوال وردت الينا فى بعض المؤلفات بدون ذكر أصحابها .

٤ — ويورد معــــلومات أخرى وصلت الينا من كتب نظنها سبقت الى ذكرها ، فيوردها بطريقة أخرى تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك فيما أورده متعلقا بتـــاريخ الآثار المقدسة بمكة .

٥ — وفى الكتاب نصـــوص مطولة ، من كتب مفقودة مثل كتاب (تاريخ المدينة) ليحيى بن الحسين العلوى الذى لم نعرفه الا بواسطة السمهودى مؤرخ المدينة المتأخر .

٦ — أما النصــوص الادبية الشعرية ، فيوشك أن يكون هذا الكتاب هو الوحيد فى جمع ما قيل من الاراجيز . فهو يمدنا بذخيـــرة طيبة من الاراجيز الطويلة الـكاملة فى تحديد طرق الحج من العراق الى المدينتين المقدستين ، وهى أراجيز ذات قيمة كبيرة اذ أنها تحدد المنازل، منزلة منزلة ، بحسب سير موكب الحج فى ذلك العهد ، وتصف كثيرا من الاماكن وصفا دقيقا مما يزيد من قيمتها اللغوية والادبية .

وليس المقـــام مقام دراســة لمحتويات الكتاب ، وانما المقصــود الاشارة الى أهميته اشارة نرجو ان يكون من ورائها ما يحفز الباحثين الى دراسته من مختلف نواحيـــه . لاسيما وقد بذل أستاذنا العــلامة الشيخ الجاسر فى تحقيق هذا الأثر العظيم — الذى يتمثل فى مخطوطة فريدة مشحونة بالتصحيف والتحريف — جهودا يقصر دونها كل اطراء ولا يبلغ شكرها أى ثناء . فلقد سلك فى التحقيق طريقا قويما ، وبنى عمله فى الكتاب على أسس موضــوعية متوخيا عدة أمور منها :

١ — تقويم الاصـــل ما امكن بالرجوع الى المصادر التى لها صلة بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة الى تلك المصادر .

٢ — اضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الامكنة والمواضع ، وبعض الاعلام .

٣ — تقويم عبارة الـكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الاشارة الى ذلك فى الهامش .

٤ — ترتيب الكتاب بحيث يفيد منه طلاب التاريخ والعــلم والادب أعظم فائدة .

وفى ختام هذا التحـليل الموجز لكتاب (المناسك) ، لا يسعنى الا أن أسدى الشـــكر وافرا وجزيلا لصديقى الاستاذ الجليل الشـــيخ الجاسر على ما بذل من جهد صادق فى سبيل تحقيق هذا الاثر الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة البالغة حد الكمال والجودة وحسن الترتيب وروعة الاخراج . وعلى ما تفضل به علينا من زاد أدبى وعلمى ، داعيا له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

---

(١) كتاب (تاريخ بغداد) الجزء السادس ص ٢٨ .



للأستاذ : محمد لبيب البــوهى

في نهاية أيام الصيف .. في يوم اشتد لهيبه ــ كنت جالسا بمقهى مواجه للبحر بالاسكندرية قبيــل الغروب ــ وسبحت نظراتي مع الماء رويدا رويدا حتى استقرت هناك بعيدا عند مشارف الافق .. وكان قرص الشمس الدامي .. المثخن بالجراح مما عاني طوال النهار من معركة الحياة يستعد ليغيب هنــاك وراء البحر .. وكان يشحب قليلا قليلا كأنما يراود النوم جفونه لينعم بنــوم هادىء بعد نهار بئيس .. وبينما أنا فيما يشبه الغفوة .. أو قل على أبواب سنة من نعاس .. اذا بى أراه فجاة جالسا الى جوارى في المقعد الملاصق ، ولم أكن قد رأيته حين اقبل ولم أعرف كيف دخل وقعد .. وكعادته في أن يمد للناس خيطا يمسكهم به قال كالمتحدث الى نفسه وكأنه يعنيني : ما أشد ما ينصرف الناس عن مباهج الروح .. هناك لحظات نادرة ، يمكن أن تسميها لحظــات التنوير أو لحظات الاشراق تغسل هموم النفس وتجدد نشاطها ، انني أعني لحظات التأمل .. ذلك أنها من لحظات الوجود الحقيقي .. ان الانسان قد يعرف فيها نفســه .. أعني يكتشفها فما أكثر ما يجهل الناس حقيقة أنفسهم ، وكأنهم يعيشون معها في غربة .

ثم ارتفع صوته كأنما ليشدني اليه وينبهني وهو يقول :
يجب أن ننتزع أنفسنا من التوافه ــ هذا هو طريق ارتفاع النفس ــ ولو الى لحظات ــ فوق الخضم الزاخر من الاهواء .. وبعد ذلك تعود النفس نشطة كأنها قد اغتسلت فى بحــر النــور .

وأعجبني كلامه ــ فهو يتقن دائما هذا النوع من نصب الفخاخ فنظــرت تلقاءه .. وكان يخفى وجهه عنى قليلا ــ متجنبا أن أنظر فى عينيه ــ مــرآة الحقيقة التى قد نقرأ فيهما أسرار الاعماق . وكان يدخن نوعا عجيبا نادرا من الطباق . فلما رآنى أتابع حلقات الدخان ــ تبسم ضاحكا ، وانحنى فى أدب وقــدم علبتــه .

قلت : شكرا ــ اننى لا ادخن ــ ..

قال : وهو يطوى علبته : حسنا فعلت ، فان التدخين من اعجب وارذل العادات .. ان الذى يمارس هذه العادة يود لو يبذل الكثير لينجو من مخالبها ــ والذى لم يمارسها بعد قد تبدو له ذات بريق جذاب .

ورآنى أعود الى متابعة قرص الشمس الذى يوشك أن يتــوارى فى الاعماق فقال : ســـيدى اننى معجب بك . انك تمنح هذه الصورة من الجمال بعض حقها .

قلت فى شىء من المباهاة وبسرعة خجلت بعد ذلك من اندفاعى فيها : احب كل صور الجمال .

قال صدقت ان الامر كذلك تماما .. ان للجمال صورا شتى ولكن اعظم صورة فيما ارى قد تجسد فى تكوين المرأة أن النظر الى جمالها المتجرد على الشاطىء عبادة .

فضحكت بدورى وقلت : عرفتك من اسلوبك يا لئيم ، انك تحسن تقديم العسل الذى تصنعه بيديك بعد أن تدس فيه ما تشاء . وما كان حــديثك عن لحظات التنوير وغسيل النفس فى بحر النور غير استدراج .. آه .. آه .. ويل للذين لا يعرفون اساليبك ..

فقال : سيدى اننى لم اسع اليك ــ انك انت الذى جئت الى الشاطىء ــ حيث تمرح الجميلات .. انك اذن فى دائرة نفوذى اعنى بعض حقول تجاربى ــ اننى ولى الامر هنــا .

قلت : ولماذا تخصنى بالذات فى مثل هذه الساعة ؟ لماذا لم تذهب الى غيرى ــ انظــر ــ هناك عشرات من الآخرين ..

قال : عفــوا .. اننى لم اخصك انت بشىء ــ انك اذ تحسبنى معك أنت وحدك .. اذا بى فى ذات اللحظة مع كثير من هؤلاء ، اننى كالمرآة الكبــيرة تنعكس عليها عشرات أو مئات الصور فى لحظة واحدة . انها تستوعب كل ما يمر فى طريقها .. دون أن تخص أحدا ــ انها تتسع لتشمل صور الدواب . وهوام الارض .. والسيارات .. وسابحات الجو .. وباعــــة البطيخ .. والمتعاركين .. والشامخين بأنوفهم تيها ، والمعجبون بما أرسلوا فى شعورهم من سوالف .. والفاتنات .. المرآة تعكس فى لحظة واحدة كل هؤلاء ، اننى معك ايها السيد المفضال ومعهم أيضا فى التو واللحظة .

قلت : ليكن الامر كما تقول .. ولكن الا تستطيع ان تدعنى وشأنى ايها ..

فضحك حتى كاد يستلقى ثم قال : كنت تريد ان تقــول ايها السيد ــ ولكنك استدركت .. حسنا فعلت .. اننى اعرف نفسى .. ومعرفة النفس نصــف القضية على الاقل ــ هل تدرك أننى أعجب بالذين يحاولون ان يكتشفوا بعض

اساليبى .. لقد قرأت ما كتبته عنى بما اسميته حوارا مع ابليس .. لقد كان فيه بعض ما يشد انتباهى .. اننى لا اخشى أن يكشف عن بعض وجـــوهى النقاب .. فان لى آلاف الآلاف من ملايين الوجوه ..

قلت شامتا : ولكننى أرى اننى استطعت أن انفذ الى بعض اسرارك ..

فاعتدل فى جلسته وقال فى هدوء عجيب : يا سيدى .. واسمح لى ان ادعوك بسيدى على الرغم من انك نعتنى بأشد الصفات . اننى لا اخشى الكلام كثيرا .. ان العشرات من محطات الاذاعة تذيع آناء الليل وأطراف النهار على امواج الاثير الوانا من المواعظ ــ وتشيد بالجهاد ــ وتذكر الناس بفضائله وتصب اللعنات على ابليس .. ومع هذا يزداد عدد العملاء الذين يطـــرقون بابى بحثا عنى .. ان اكثر ما يقال يمر بجوار آذان صماء اننى لا اخشى الكلام كثـــيرا ..

وارتفع صوته قويا مجلجلا .. حتى لكأنه ينبعث من مكبرات للصــوت تلقف صوته وتكبره أضعافا مضاعفة .. وهو يردد شامتا بقوله فيه مزيج من الاسى والحيرة : لقد ذهب أولئك الذين كنت أخشاهم : لم تكن هناك كتب .. ولا اذاعات .. ولا كلمات مطبوعة .. وكان الواحد منهم يسافر الى بعيـــد ليبحث عن كلمة .. أو حكمة .. أو تأويل .. ثم يتخذ من الحكمة التى يصل اليها دستورا عمليا لحياته ..

نعم كان هؤلاء أعدى أعدائى ــ ولكننى حين امر بذرات التراب فى قبورهم المضيئة أنحنى اجلالا وتقديرا ..

قلت : انك تريد ان تستدرجنى الى مودتك بمثل هذا الادعاء ، فما اكثر ما تذكر الحقائق التى تريد بها باطلا .. انه كما ان لك ملايين الملايين من الوجوه .. فانه يبدو انك تملك مثل هذا العدد من الاساليب .. اننى احاول أن افهمك ولعل ذلك من أسرار صبرى على حوارى .. انك قد تجلس الى العالم كأنك تلميذ يتعلم .. وقد تصاحب التافه الثرثار وتبدو بين يديه متخشعا لتلبسه لباس الغرور المهلك ..

قال فى غير مداراة : نعم .. ان شباكى كثيرة الخيوط .. هنـــاك من اشدهم بخيط مثل خيط العنكبوت .. وهناك من أعد لهم حبلا غليظا من صلب كذلك الذى تشد اليه ماخرات البحار .. وهناك من يشتد بهم الاسى والحزن حين لا أمد لهم يدا ..

وكان الى جوارنا اثنان يتحدثان .. وكان أحدهما يبالغ فى تزكية نفسه . انه وحده الذى فعل كذا .. انه وحده الذى يستطيع ان يأمر .. انه وحده ..

وكان الملعون ينصت اليه باســـما .. قلت : انه أحد ربائبك ولا ريب .. لقد زينت له ما يثرثر به .. ترى هل تظل صديقا له الى مدى طويل .. ؟ قال : لا .. ان الحقائق لاتتوارى دائما .. اننى اشجعه وأمد اليه يدى الى حـــين ثم انتقم منه واكشفه .. وادعه بعد ذلك عريانا ..

قلت : وعندئذ سوف تشعر بسعادة الانتقام ..

فتجهم وجهه حتى أصبح فى مثل لون الفحم ثم اجاب : لا تتحدث معى عن السعادة .. ان السعادة شىء كان ثم ضـاع .. لقد اثار حديثك هذا شجونا دفينة .. لو تغير وجه الامر .. لسعدت أنا وسعدتم أنتم .. اننى اوسوس .. ولكن كم يطيب لى أن تذهب وساوسى هباء .. اننى عند ذلك قـــد اتخفف وقد استطيع ان أمد عين الامل الى ابواب الرحمة .

قلت : اذن فهناك شىء تخشاه منا .. لقد قلت انك لا تخشى اكثر الكلام

الذى يقال .. فما الذى يخيفك اذن .. ؟ ما الذى يجعل كيدك يبدو ضعيفا ..؟ العقيـدة .. !!

وكنت أظن انني قد وصلت الى لب اسراره حين رايته يمعن منكرا ثـم يقول : وا اسفاه .. حتى العقيدة وحدها لا تكفى للوقوف طويلا فى سبيلى .. ان اخشى ما اخشـاه .. بل واحيانا يخيل لى اننى أتمناه لانهى مهمتى هى الارادة ..

ما اشـد خيبتى وضـياعى أمام العقيدة المسلحة بالارادة .. ان الارادة الصادقة هى التى شرب منها أولو العزم اولئك الذين يخيل الى احيانا أن معدنهم قـد ندر .. انه لكى انجـو أو احاول التماس طريق النجاة .. لا بد أن يتحرك شىء ما فى أعماق نفوس البشر .. أن تتحرك تلك المضغة التى فى الصدور .. ان ذرة واحدة من عزيمة صادقة هى خير لكم من الف كتاب .. ان مـلايين السكارى الذين تتخبطهم الخمر .. والوف الالوف من العصاة .. والزناة .. والشاردين عن حقول الجماعة .. وغير هؤلاء يريدون أن يتوبوا .. ولكن لا أحد يستمسك بالحبل المتين الممدود لكم ..

ان الذين تذوب ثرواتهم أمام مفاتن الغوانى يريدون ان يعودوا ولكنهم يستمرون فى نفس الطريق .. ان أحدا ممن ذكرت ليس فى حاجة الى المزيد من الكلمات ما لم تتفتح تلك المضغة التى فى الصدور .. ان شيئا ما يجب أن يتحرك من الداخل .. اعنى داخل النفس ..

هل سمعت عن الابرة الذهبية ؟ .. انهم فى الصين استطاعوا ان يدفعوا بسن الابرة الى اماكن ذى حساسية فى الجسد فتصح الابدان .. ان القلوب فى حاجة الى هذه الابرة .. ان مجرد المعرفة لا يكفى .. فأنت ترانى أعرف اكثر مما تعرفون ..

قلت : وانك تعنى ان سن الابرة التى تحرك الاعماق هى الارادة .. ؟

قال نعم : انها حين تمس القلب ينهض عملاقا قويا .. وتكفيه اقـل المواعظ .. أن الكلمات تصبح فى هذا الوقت كأنها مصابيح على جنبـات الطريق .. ان آية واحدة قد تكفيكم .. انظر مثلا الى قول الحق (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أن تهدموا نصف مملكتى .. لو اتخذتموها شعارا عمليا .. لو صارت دستورا لاهل الارض . لتحولت الوف الملايين التى تصرف فى الازياء التى لا تلبس فى البيوت .. وانما انسجها لكم لتكون معارض للطرقات .. هذه الكنوز تستطيع ان تنقذ وتعلم الملايين من أهل الارض .. ولاكتسبتم ما هو اعظم من ذلك .. العفة .. وهدوء النفس .. لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أيضا ان تغضوا على كثير من مفاسد الجنس والجريمة التى تشع من اكثر ما تصورون وتذيعون فى مسارحكم والملاهى .. لو غض الناس ابصارهم لاستيقظت الطاقات الكامنة الخلاقة اننى لا اخشى الكلام .. بل اخشى العمل المسلح بالعقيدة والارادة .. ولكن هيهات .. يبدو اننى مطمئن من هذه الناحية .. لذلك لا أجد حرجا فى التصريح .. وتمطى ضاحكا فى سخرية ..

لم استطع أن أجيب فسكت عن الكلام هنيهة .. فانفجر ضاحكا ليقـول : انك قـد تعجب حين تتصورنى واعظا .. اننى لا آتى بجديد .. انه يطيب لى

ان أثير فى نفسك روح الاسى والحسرة لانك تعلم أن هذا حق ولكنكم لسبب لا أدريه تتجنبونه .. اننى لا أخشى هذا الكلام .. لانكم تعرفونه .. ان الذين يتخبطون فى الظلمات لن يفيدهم أن تشرح لهم أوصاف الاماكن التى لا يرونها ان كل ما هم فى حاجة اليه قد يكون عود ثقاب .. ثم جرعة من ارادة ..

وانه ليبدو جليا انكم لن تفعلوا .. ولذلك أتلذذ بأن أتجرع نشوى الشماتة .. ما اشد غباء صاحب الكنز الذى يدعه مغلقا ثم يذهب ليستجدى فى الطرقات .. اننى المقعد الذى يركب الاعمى ويقوده . .ولن تستغنوا عنى .. ولذلك احاول أن ارضيك ببعض الكلام .. اننى أريد ان أكون صديقا لك .. ومن أجل هذا اكشف لك عن بعض ما تحب أن تعلم ، عسى أن تطمئن الى مودتى وتسلمنى يدك .. ولن اخشى بعد ذلك أن تكون قد عرفت بعض اسرارى .. فان نبعى من بحار الفتن لا يفيض ..

* * *

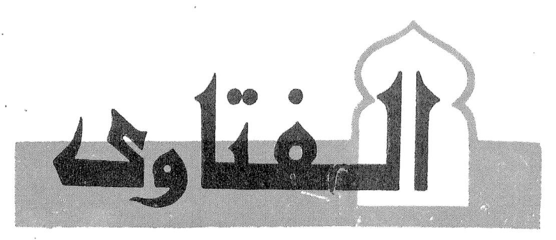
وصمت اللعين .. وراح ينظر عن يمين وشمال .. لقد زاغت منه الابصار .. ثم تبسم حين رأى شابا يهبط من سيارته .. وتمهل ثم قال كالمتحدث الى نفسه مخافتا : نعم ستجدنى الى جوارك على الفور .. قلت : أبك شىء من خبال ..؟ هل تتحدث الى نفسك .. ؟ قال : انما اتحدث الى هذا الذى جاء اننى لا أعرفه .. ولكنه سوف يكون من أعظم عملائى .. قلت : وما دمت لم تعرفه فكيف تنبأت له بهذا المصير .. ؟

قال : اننى أعرفهم بسيماهم .. الا ترى ان كل انسان يشغله ما يهمه .؟ انك حين تقرأ كتابا تعرف صاحبه من أسلوبه ولو لم تره .. والفنيون حين يرون رسما يدركون على الفور من يكون راسمه .. اننى اعرف اصحابى .. أعرفهم وأميزهم من بين الملايين .. ان بينى وبينهم تجاوبا قلبيا أسود هناك اشعة سوداء تربطنى بهم ..

قلت : أرى انك تريد أن تذهب لترحب به .. ؟

فتبسم وقال : سوف أرحب به تماما .. ولكنه سوف يرى منى بعد ذلك الويل والثبور .. سوف يلعن هذه الساعة .. ولسوف يبكى دما ، ولن ينفعه النوح والعويل ..

فتحت عينى وأنا اردد : لا حول ولا قوة الا بالله .. واذا بى أفيق من هذه السنة التى اخذتنى من النعاس ورحت أصيح فى نفسى .. وكأننى أقذفه بكلمات الغيظ المحمومة من خلفه .. وكأننى ما زلت أراه : أيها الملعون .. انك تدعونى الى وليمة من عالم الفكر الاسود .. انك تنصب لى فخاخا عقلية فأنت تدرك أننى أهوى التفكير .. فأنت تدعونى اليه بأسلوبك التجريبى الذى تعلمته فى عالم الظلمات .. وتصيح صيحات العنكبوت حين يدعو الى بيته ذبابة .. كى يفترسها ..



فى الحــج

هل يجوز لى أن أشد على وسطى وأنا محرم حزاما أضع فيه نقودى ؟

الاجابــة :

قال ابن عباس : يجوز لك أن تشــد على وسطك وأنت محرم ما يسميه الناس الآن بالكمر وفيه جيوب لوضع النقود وما تحتاج اليه فيها ؟

الحج عن الغير

مرضت مرضا شديدا منعنى من الحج بنفسى ، وطال المرض ، وقـال الأطباء انه مزمن ولا يرجى برؤه ، فأنبت رجلا حج عنى ثم تفضل الله على بالشفاء واستطيع الحج الآن ، فهل سقط فرض الحج عنى أم تلزمنى الا عادة ؟

الاجابــة :

اذا عوفى المريض بعد ان حج عنه نائبه فانه يسقط الفرض عنه ، ولا تلزمه الا عادة لئلا تفضى الى ايجاب حجتين ، وهذا مذهب الامام احمد ، وقال الجمهور : لا تجزئه حجة النيابة لأنه تبين انه لم يكن ميئوسا منه وان العبرة بالانتهاء .

واذا أردت أن تحج مرة ثانية تطوعا كان افضل .

ادعيــة الطــواف

ما هى الأدعية المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف وهل كل ما يدعو به المطوفون وارد عن الرسول الكريم ؟

الاجابــة :

يستحب للطائف ان يكثر من الذكر والدعاء ، ويتخير منها ما ينشرح بــه صدره دون أن يتقيــد بشىء مما يردده المطوفون ، ولم يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادعية مروية منها :

١ ــ عند استقبال الحجر الأسود : « اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابــك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك . بسم الله والله اكبر » .

٢ ـ وعند الشروع في الطواف : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله .
٣ ـ وعند الركن اليمانى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .
٤ ـ وفى الطواف عند كل شوط رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الأعز الأكرم .
ولا بأس بقراءة القرآن اثناء الطواف .

صلاة السنة اثناء الاقامة

دخلت المسجد والمؤذن يقيم لصلاة العشاء ، فكبرت وصليت ركعتين سنة العشاء القبلية ، ثم لما فرغت أحرمت بالعشاء وراء الامام وبعد الفراغ من الفرض نبهنى أحد المصلين الى ان التطوع بعد الاقامة للصلاة غير جائز فهل هذا صحيح ؟

الاجابة :

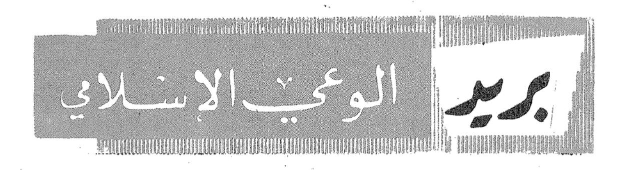
اذا اقيمت الصلاة كره الاشتغال بالتطوع ، فعن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ، وفى رواية « الا التى اقيمت » رواه احمد ومسلم واصحاب السنن ، وروى ان رجلا دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الغداة ـ الصبح ـ فصلى ركعتين فى جانب المسجد ، ثم دخل مع رسول الله ، فلما صلى رسول الله قال « يا فلان باى الصلاتين أعتددت بصلاتك وحدك ام بصلاتك معنا » رواه مسلم وابو داود والنسائى ، وفى انكار الرسول صلى الله عليه وسلم مع عدم امره باعادة ما صلى دليل على صحة الصلاة وان كانت مكروهة .
ومن هذا يتبين أن صلاة السنة اثناء الاقامة او بعدها صحيحة وان كانت مكروهة .

موضع وضع اليدين

المصلى يضع يده اليمنى فوق اليسرى اثناء قيامه فى الصلاة ، ولكن فى أى مكان يضعهما . ؟

الاجابة :

قال الترمذى : ان اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم يرون أن يضع الرجل يمينه على شماله فى الصلاة ، ورأى بعضهم أن يضعهما فوق السرة ، ورأى بعضهم ان يضعهما تحت السرة ، ووردت روايات تفيد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع يديه على صدره فعن هلب الطائى قال : رايت النبى صلى الله عليه وسلم يضع اليمنى على اليسرى على صدره فوق المفصل ـ رواه احمد .



اعـــداد : عبد الحميد رياض

الرقيـــــم ..

ما هـــو المراد بالرقيم الذى ورد فى قصـــة أصحاب الكهف فى قول الله تعـــالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتيـــة الى الكهف فقـــالوا ربنـــا آتنـــا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمـــرنا رشـــدا » .

أحمد منصور ــ دبى

اختلف العلماء فى المقصود من هذه الكلمة . فمن المؤرخين من قـــال : إنها اسم جبـــل ، ومنهم من قال : اسم كلب ، ومنهم من قال اسم قرية على بعد فرسخ من عمـــان على تخـــوم البادية ، وذكر الثعلبى عن ابن عبـــاس أن الرقيم واد بين غطفان وإيلة دون فلسطين ، وعن سعيد بن جبير أنه نـــوع من الحجارة ، وقيل من الرصاص كتبوا فيـــه قصص أصحاب أهل الكهف ثم وضـــعوه على باب الكهف ، وقال على بن أبى طلحة : الرقيم الكتاب ، وأيا كان فان الرقيم فى اللغـــة تعنى النقش والكتابة .

قال الله تعالى فى ســـورة المطففين (كتاب مرقوم . يشهده المقربون) والمرقوم هـــو المكتوب والمنقوش ، ويروى أن الكهف الذى آوى اليه أصحاب الكهف كان منقوشـــا من الداخل بالكتابات القديمة وغيرهـــا . .

.. .. ..

الكـــويت ..

لدولة الكويت مكانة مرموقة فى العالم الاسلامى والمجتمع الدولى على الســـواء .

ويسعدنا ونحن فى بلاد الســـنغال أن تكشفوا لنـــا بعض الجوانب عن هـــذه الدولة الفتيـــة .

الحاج احمد سيدو

الكويت بلد اسلامى عربى وسكانه عرب ينحدرون من أصول عربية عريقة بالعروبة ، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم عربية صرفة لم تؤثر فيها أية عادات وافدة .

وتقع الكويت فى الشمال الغربى من الخليج العربى بين خطى عرض ٢٨ و ٣٠ درجة شمالا وخطى طول ٤٦ و ٤٨ درجة شرقا تقريبا جنوبى العراق وشمالى الاحساء من المملكة العربية السعودية .

وهى منفذ طبيعى لشمال شرق الجزيرة العربية ، وقد اكتسبت بموقعها هذا مكانة تجارية قديما وحديثا .

ومساحة الكويت (١٧٨٢٠) كيلو مترا مربعا .
ويبلغ عدد السكان ٧٣٣١٩٦ حسب آخر احصاء أجرى عام ١٩٧٠ م .
واكثر السكان من الجزيرة العربية والبلدان المجاورة وأما السكان الأصليون فهم نزح من الجزيرة العربية والخليج العربى .

وأمراؤها آل صباح فرع من قبيلة عنزة وهى القبيلة التى ينتمى اليها آل سعود العائلة الحاكمة بالسعودية ، وآل خليفة العائلة الحاكمة بالبحرين ، ويقيم غالبية السكان فى مدينة الكويت وضواحيها ، والباقون يقطنون أماكن متفرقة خارج العاصمة .

والكويت اليوم مدينة تجارية عظيمة يفد اليها كل يوم من جميع أطراف العالم البواخر والطائرات والسيارات وهى كثيرة الشبه بباقى المدن العربية المحيطة بها .

وقد تضافرت العوامل الاجتماعية والطبيعية والسياسية والاقتصادية على نموها وازدهارها ، وقد مرت فى كل المراحل التى تمر بها اية مدينة جديدة .

ولقد أتصل أهل الكويت بالعالم ، واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ فأثروا ثراء واضحا ، وكان ذلك قبل ظهور النفط ، وهم يميلون للتجارة بطبعهم .

وتبدو ملامح شخصية جديدة لهذا البلد الفتى ، فقد أصبح التقدم التكنولوجى نتيجة حتمية لانتصار العلم فى هذا العصر ، فلم يعد هناك مجال أن يكتفى بما قد يجود به أرضه ، كما أصبح لزاما أن يبحث عن وسائل أخرى يضيفها الى عصب حياته الاقتصادية حتى تترسخ دعائم نهضة اقتصادية تكون ركيزة جديدة الى جانب البترول ، وكان الاتجاه الى التصنيع وقامت بعض الصناعات فعلا .

وبذلك تكون الكويت قد خطت خطوات على الطريق الى عالم الصناعة بجانب التجارة .



شــــبهة تقدمية
((وأشرقت الارض بنور ربها))

يقول الاستاذ محمد سعيد عدى :

حدثنى (....) فقال : ما حال الأقليـــــات في بلادنا اذا قامت الدولة الاسلامية وكنا بصدد مناقشة عن القومية ونشاتها وآثارها بالنسبة لنا نحن العرب بصورة خاصة ، فاجبته :

يا اخي ، ان الدارس الاسلامى الحقيقى ، بشكل موضوعي لا التاريخ الذى وضعه الصليبيون والمستشرقون وبعض خريجى الجامعات التبشيرية ، يقف على الحقائق الدامغة التى ترد الحجر من حيث اتى ، هذا الحجر الذى رماه المستشرقون وبعض الخريجين والصليبيين واندادهم في وجه الدولة الاسلامية ، ليبعثروا ما تجمع لها من كيان ، وليسلطوا سلطانهم الحـاقد ، واســتعمارهم اللئيم الغادر على امة القرآن الكريم ، على امة ســيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة ..

ان الواقف على كبريات حقائق التاريخ يعرف ان حقوق الاقليات وحمايتهم ورعايتهم كانت في ظل رسالة الاسلام ، لا فى ظل النعرات الضيقة ، فى ظل العدالة السمحة التى نادى بها الاســـــلام ، لا فى ظل راية الحقد والتباغض والعصبيات المحلية الاقليمية .

اسمع يا اخى الى ما قاله البطريرك عيشويابة عام ٦٥٦ هـ .
((ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بالعدالة كما تعرفون ، انهم ليسوا اعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا، ويمدون يد العون الى كنائسنا واديارنا)) .

واسمع الى قول رسول المحبة والعدالة ســـــيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ((من ظلم معاهدا ، او انتقصه ، او كلفه فوق طاقته ، او اخذ شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة)) .

والى قوله : « من آذى ذميا فقد آذانى ، ومن آذانى كنت خصمه يوم القيامة » ..

والذى اعتقده يا اخى انك سمعت قصة أمير المؤمنين عمر وقد مر فى الاسواق فوجد يهوديا يتسول فقال له ما هذا فقال .. عن حاجة يا امير المؤمنين ، فاقتاده عمر من يده وقال له : « ما انصفناك .. ناخذ منك الجزية وانت شاب ونتركك تتسول وانت شيخ .. فأوصله الى خازن بيت المال ، وقال له : اعط هذا واضرابه من بيت المال شيئا معلوما » ..

واعتقد انك سمعت قصة الأمير عبد القادر الجزائرى يوم الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ فى دمشق والتى افتعلتها اياد اثيمة مستعمرة غادرة ـ لغاية فى نفس يعقوب ـ وكيف انه احتضن وحمى ١٠ آلاف مواطن نصرانى فى بيته يؤويهم ويطعمهم و ..

ففى ظل رسالة الاسلام ذلك لا فى ظل غيره .. وعلى كل فباعتبار اننى اومن بالقرآن الكريم دستورا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زعيما وبالاسلام دينا ونظاما ومنهاجا الحياة كلها يمكن تطبيقه فى كل عصر ومصر ، وانت لا تؤمن بذلك حيث انك تؤمن ـ كما تقول ـ بالاسلام عقيدة ودينا فقط ، وانه نظام عاجز عنمسايرةمتطلبات العصر الحديث ، فلا بد من ان يكون بيننا حكم ثالث ، وانا اختار القرآن الكريم ـ ان رغبت ـ او اقول المستشرقين وشهاداتهم التى لها فى نفوس ناشئتنا المسلمة ـ رسما واسما ـ اجل قدر واعظم مكان ـ حكما ثالثا فما رايك .. ؟

استمع الى قول الله عز وجل فى كتابه : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا آنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » .

وقال : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .. هذا بالاضافة الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ام ليلة اسرائه فى القدس الشريفة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكان ذلك تاكيدا لامامة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واعترافهم بذلك ، « مثل لى النبيون فصليت بهم » .

هذا غيض من فيض بالنسبة للقرآن الكريم والسنة المطهرة ، واليك شهادة بعض المستشرقين علك تثوب الى الحق وتعود اليه ..

يقول غوستاف لوبون : « يا له من دين لو كان له رجال » .

ويقول ماركس(١) فى صدد كلامه عن الزكاة فى الاسلام : « فالزكاة نظام اجتماعى عام ومصدر تدخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء ، وتعينهم ، وذلك على طريقة نظامية قويمة لا استبدادية تحكمية ولا غريبة طارئة .. وقد وحدت الأمة (كلها) فى اطار من دائرة اجتماعية عادلة .. وبذلك برهن النظام الاسلامى على انه لا يقوم على اساس من الأثرة البغيضة »(٢) .

هذه شهادة اعدائه قبل انصـــــاره .. فاين نحن .. ؟ وما لنا تائهون حائرون .. ؟

وهذه شهادة التاريخ وهو ينطق .. فالأخطل كان يدخل على عبد الملك بن مروان وعليه جبة خز وفى عنقه سلسلة من ذهب علق فيها صليب .

وما يقال عن الأخطل ، ومكانته ، يقال عن آل بختيشوع سلالة جورجيس ابن بختيشوع السريانى النسطورى طبيب المنصور وعن آل حنين من نصارى الحيرة ، وحبيش الأعسم ، وقسطا بن لوقا ، ويوحنا بن ما سويه واسطفان بن باسيل ، وسرجيس الراس ، وابن البطريق وغيرهم من الذين ســـــاهموا فى الحضارة العربية الاسلامية ..

على كل — فيا أخى — ان كان فى الماضى القريب اساءة لهؤلاء فلا يعقل ان تظل السماء صاحية ضاحكة ، فلا يكون ذلك من الاسلام الخالد العادل وانما هو من المسلمين ، وهذا ليس بعجيب ، فانظر الى التاريخ وما حدث فيه بين الكاثوليك والبروتستانت بسبب تعصب كل فريق الى فريقه ..

واخيرا فالدولة تعترف لهؤلاء بالمواطنة يتمتعون فى ظلها بنعيم الحرية ، ويتفيأون بوارف اشجارها — العدالة والمساواة والاخاء — بكثير من الحقوق والواجبات ، قل ان تحظى بها اقليات وطنية فى جميع انحاء العــــالم .. ونتحدى .. !

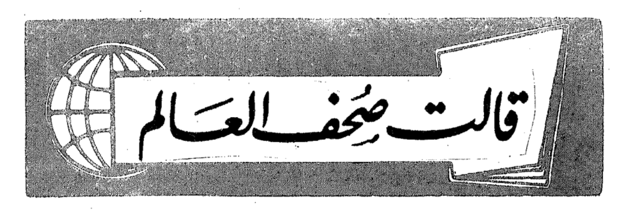
وختاما ، فلا بد لشمس الحق ان تسطع ، ولا بد لظلام الباطل من جلاء وسنسير — باذن الله — راسخى الجنان ، ثابتى القدم ، عن حقنا مدافعين ، وعن اسلامنا ذائدين ، مهما تقول المتقولون ، وسنردد ما قاله رســـول الله صلى الله عليه فى الماضى ..

والله — يا ناس — لو وضعتم الشمس فى يميننا ، والقمر فى يسارنا على ان نترك او — نتزعزع فى امر دعوتنا ، ما تركناها حتى يظهرها الله او نهلك من دونها فنفوز باحدى — الحسنيين .

اما نصر من الله وفتح قريب ، او بشهادة فى سبيل الله ، والله اكبر والعزة لله ورسوله وللمؤمنين .

---

(١) ماركس هذا غير ماركس اليهودى الشيوعى ..
(٢) الاسلام والحضارة لكرد على ج ١ ص ٢٧١ .
(١) تضمين لمعنى الحديث الشريف .



مراجعة الحساب

لا ينقصنا المال فعندنا منه سيول داخل الصحراء ، ولا ينقصنا الدم فعندنا شباب غض الاهاب يكاد يتفجر دما ، ولا ينقصنا السلاح ، فالاسواق مفتوحة ما دامت الأيدى طويلة والجيوب مليئة ، ولا ينقصنا الحضارة والمدنية والثقافة ما دامت اسبابها متوفرة بل فائضة عن حاجتنا ، ولا ينقصنا العروش والتيجان وانواع الحكم والوان الجاه والسلطان ولا ينقصنا الفنيون والمهندسون والمدرسون والمبعوثون والدعاة والمرشدون ، ففى مصر وحدها من تلك الانواع جنود مجندة تصدر كل عام الى البلاد العربية والافريقية المجاورة .

فما هذا الشيء الذى ينقصنا اذا .. ؟

انما ينقصنا فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقى على ضعف المسلمين فى هذا الحين وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس .

فهو العامل الوحيد الذى لا يعوض بشىء لا بالمال ولا بالعلم ولا بالسلاح ولا بالذكاء والدهاء ان هذه المؤهلات العلمية والفنية قد تعوض بعضها البعض وقد تسد احداهما فراغ الاخرى لحين من الدهر أما اذا لم نشعر بالخسارة مطلقا ولم نتألم لها بتاتا ، أما اذا لم تتوجع قلوبنا على مصيبة العالم الاسلامى كتوجع المرء الذى أهين فى قارعة الطريق ، أما اذا لم تستح ضمائرنا وأحاسيسنا على رغم شماتة الاعداء ونكاتهم اللاذعة وسخرية الاجانب فى الصحف العالمية وهوان ابنائنا وشبابنا فى العواصم الغربية فان هذا الذهب الفائض فى داخل الارض وان هذه الالوان الزاهية البراقة من الحضارة وان هذه الاسلحة الحديثة المستوردة من الغرب والشرق لا تنفعنا شيئا ولو جمعنا بين معونات الكتل السياسية كلها ؟ اذا قمت بجولة قصيرة بين العواصم العربية الاسلامية اليوم وتجولت فى أسواقها العامرة وشوارعها المزدحمة ورأيت صورتها فى الليل وجدتها كاملة العدة والعتاد كاملة الزينات والمباهج والملذات فيها العلم فيها الشباب وفيها المال وفيها الفن وعندها المقدسات والمشاعر والشعائر بل عندها الحرم وعندها زمزم ولكن ينقصها مع كل هذا الذى ذكرناه — ولا مؤاخذة — ذلك الشعور المفقود المطلوب بجراحها وآلامها جراحات القلب والروح وآلام الوجدان والضمير .

فما هو الحل واين الطريق .. ؟

الحل ان نكهرب هذه الطاقات الخامدة الجامدة التى لا روح فيها ولا حياة ان هذه القوى والطاقات والمواهب والمؤهلات والوسائل والادوات كاسلاك الكهرباء فكيف ترى اذا عنينا بالاسلاك ونسينا الكهرباء اننا بوسائلنا الحاضرة نستطيع أن نحقق ما لم يكن بالحسبان اننا بوسائلنا القصيرة التى نزدريها ونستزيدها نستطيع ان نصنع المعجزات ونأتى بما يدهش له العقول وتتحير فيه الالباب ولكن بالوسائل الحية الوسائل النابضة المتحركة الوسائل المكهربة .

ان مواردنا ووسائلنا كثيرة متوفرة يفيض بها العالم الاسلامى كله فهنا مال وهناك أيد عاملة وهنا قرائح وهناك علوم وهنا عدد وهناك ذكاء ولكنها مع ذلك لا تؤدى وظيفتها ولا تلعب دورها ولا ينفع بلادها واهلها وقد يبدو للرائى ان سببه التفرقة والانقسام والوحدة تستطيع اذا تحققت أن تحل هذه المشكلة .

عن مجلة البعث الهندية

وذلك خطأ كبير أضلنا أعواما طوالا في متاهة الحيرة والفوضى الفكرية لا نجد سبيلا الى الخلاص فالوحدة هي ايضا لا تتحقق ولا تخرج الى حيز الوجود من غير هذا الكهرباء من غير هذا العامل الاساسي الوحيد الذي ذكرنا وهو الشعور بفداحة الخطب ووخز الضمير وتألم القلب والوحدة التي تقوم على اسس صناعية أو خيالية أو على أغراض سياسية ولا يكون وراءها رصيد من تلك الطاقة المكهربة أو الطاقة المولدة لن تدوم طويلا وتذهب حيث ذهبت الوحدات السابقة لانها وحدات ساقطة أو وحدات ميتة او وحدات عرجاء او وحدات ذات ارجل خشبية لا تستطيع أن تقوم واذا قامت فلن تستطيع أن تدوم .

* * *

الامة العربية بين خيارين — الاستسلام المشين أو المقاومة المشرفة ..

دخلت الحرب العربية — الاسرائيلية مرحلة جديدة في شهر تشرين الاول من عام ١٩٧٢ فقد تميز هذا الشهر باتباع العدو تكتيكا جديدا يستهدف تنفيذا ما هددت به غولدا مائير بملاحقة الفدائيين العرب الى كل مكان .

ومع ان النشاط الفدائي مجمد كليا في الوقت الحاضر فان العدو لم يتردد في مواصلة اعتداءاته بل انه وسع نطاق اعتداءاته بحيث شملت اوروبا ايضا وذلك حين اقدم على اغتيال الشهيد وائل عادل زعيتر في روما .

واذا كانت لا تزال هناك ذرة من ريب لدى عربي واحد بان العدو لن يتركنا حتى ولو تركناه ولن يتوقف عن محاربتنا حتى لو سالمناه وسلمنا له بكل ما اغتصبه في حرب عام ١٩٦٧ فان الغارات التي شنتها طائراته على صيدا وضواحي صور والبقاع وبعض المناطق السورية في منتصف الشهر الحالي واقدامه على اغتيال الشهيد وائل زعيتر كل ذلك جاء ليثبت من جديد ان اسرائيل لن تفتقر الى حجة تبرر بها عدوانها وذريعة تتوسل بها لمواصلة غاراتها البربرية على اراضينا .

ان ما تريده اسرائيل هو استسلام عربي كامل دون قيد أو شرط .

استسلام لا ينتزع منا فقط اعترافنا بشرعية ضمها للاراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٦٧ بل كذلك يرغمنا على فتح حدودنا في وجه رعاياها واراضينا في وجه سلعها . استسلام يجبر حكوماتنا على تبادل التمثيل الدبلوماسي معها استسلام يمكن العدو من التغلغل في جميع الاراضي العربية والسيطرة على اقتصادياتها وتخريبها من الداخل .

استسلام يضع الاراضي العربية كلها تحت رحمة العدو بحيث يتمكن من تنفيذ مرحلة اخرى من مراحل مخططه الهادف الى انشاء دولة اسرائيل الكبرى الممتدة من النيل الى الفرات بجهد اقل وتكاليف اصغر مما دفعه حتى الآن .

استسلام يمكن العدو من السيطرة على النفط العربي ويحول العرب لا في فلسطين وحدها بل في سائر انحاء الوطن العربي الى اجراء في ديارهم .

هذا هو ما يريده العدو .. واذا نحن لم نوافق على ذلك فان اسرائيل لن تعدم وسيلة ولا حجة لمهاجمتنا وضرب مدننا وقصف قرانا وذبح اطفالنا واحراق مزروعاتنا وتدمير ابنيتنا .

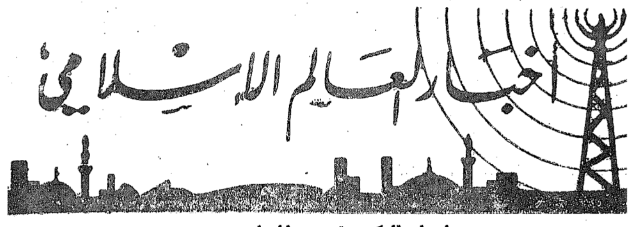
تلك حقيقة يجب الا يختلف عليها عربيان اثنان .

حقيقة اخرى يجب الا تكون موضع جدل أو خلاف او مناقشة وهي اننا نواجه اليوم كما واجهنا منذ بدء الهجمة الصهيونية على بلادنا واحدا من خيارين :

اما الاستسلام غير المقيد وغير المشروط وهذا معناه اندحار الامة العربية ربما الى الابد ،

واما المقاومة وليس هناك من يقول ان المقاومة سهلة انها تتطلب اشياء كثيرة لكي تكون فعالة ومجدية وتحقق اهدافها .

(عن مجلة فلسطين)



اعداد الدكتور / عبد المعطى بيــومى

الكـــويت : وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلمة شكر الى ابنـــاء الوطن على الحفـــاوة العظيمة التى عبرت عن فرحة الشعب بمناسبة شفائه وعـــودة سموه مكتمل الصحة موفور العـــافية .

● عقد فى الكويت فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء الدفاع والخـــارجية العرب ، وقد بحثوا فى امكان وضع خطة عربية لمجابهة الخطط الصهيونية ، وأعلن الأمين العـــام للجامعة أن توصيات اللجنة ستعرض فى اجتمـــاعين قـــادمين .

● عقدت اتفاقية بين الكويت والمغرب تستهدف توثيق علاقات البلدين التجارية والاقتصادية والاعلامية .

● ناشدت الكويت على لسان سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح ــ البلاد العربية بأن تكون على مستوى المسئولية والخطر ، وأن تتحمل كل منها نصـــيبا من أعبـــاء المعركة .

● وصف رئيس وفـــد منظمة التحرير الفلسطينية نتائج المؤتمر بأنهـــا بداية هادئة جدا على طريق ملىء بالمصاعب .

مصـــــر : بدأت الاستعدادات للاحتفال بمرور الف عام على الأزهر فى شهر يونيو القادم على مستوى ملوك ورؤسـاء الدول الاسلامية .

● تقرر أن يتلقى بنـــك ناصر وبنـــك القاهـــرة الزكـــاة من المواطنين وصرفها فى المجالات التى حددتها الشريعة الاسلامية .

● ستنشىء جامعة الأزهر بالاشتراك مع الامم المتحدة مركزا ســـكانيا تابعـــا للجامعة ، وقد بدأت الاجراءات اللازمة لانشـاء هذا المركز .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى برحلة الى بعض الدول الافريقية لتوثيق علاقة المملكة السعودية بمسلمى أفريقيا .

● تلقت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مبلغ (٢٠) الف ريال قيمة التبرع السنوى للجماعة من جلالة الملك فيصـــل .

● قـــام الشيخ ضـــياء الدين باباخانوف مفتى المسلمين فى طشـــــقند بزيارة الى المملكة العربية السعودية بعد حضوره الدورة الاخيرة لمؤتمر مجمع البحـــوث الاســـلامية .

● دعت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمـــكة المكرمة (٤ آلاف طالب ــ ١٤٠ معلما) المسلمين الى بذل التبرعات حتى تستطيع مكافأة المتفوقين ومواصلة برنامجها الجليـــل .

أبو ظبى : تحتفل دولة اتحـــاد الامارات العربية بالعيد الاول لقيامها فى شهر ديسمبر ٧٢ ويشـــهد الاحتفال وفود من الدول العربية .

● أتم مجمع البحوث الاسلامية مشروع تقنين الشريعة الاسلامية فى بعض المذاهب الفقهية ، وسيعرض المجمع هذا المشروع على مفكرى وهيئات العالم الاسلامى لابــداء الرأى فيــه لوضعه فى الصيغة النهائية .

● أوصت لجنة شئون القرآن بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمعاملة حــافظ القرآن معاملة المؤهل فى الجيش .

● تقرر انشــاء معهد عــال للسنة يلحق بكلية اصــول الدين سيمنح طلابه مكافأة شهرية .

الأردن : قرر وزراء خارجية الدول الاسلامية بالامم المتحدة تشكيل لجنة للبحث فى قيــام اسرائيل بتغيير المعالم المقدســة فى مدينة القــدس ، وستعرض اللجنة تقريرها فى مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى القــادم .

● قامت اسرائيل أخــيرا ببنــاء ٤ معــابد يهودية فى القــدس العربية بعد أن ازالت المساكن العربية وبعض الكنائس من المكان الذى بنت فيه هذه المعــابد .

● انتهت المرحلة الاولى من بناء المستشفى الاسلامى الخيرى فى عمان ، ويجرى الآن جمع التبرعات لاكمال المشروع .

ســوريا : شكلت لجنة من علماء الآثار لدراسة آثار (قطنة) التى يرجــع تاريخها الى عهــد الأمويين ، وكانت عاصــمة من عواصمهم المهمة فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد .

اليمــن : عقدت فى القاهرة فى الشهر الماضى اتفــاقية للوحدة بين شــمال اليمن وجنوبه وقعهــا كل من رئيس الوزراء فى الشمال والجنوب .

ليبيــا : طالبت ليبيــا الامم المتحدة بضرورة جعل اللغــة العربية لغــة رسمية فى المنظمة الدولية .

المغــرب : نوقشت الاتفاقية التجارية بين المغرب والمملكة العربية السعودية فى سبيل توثيق العلاقات بين البلدين العربيين المسلمين .

تركيــا : شكلت لجــان اقتصادية عراقية وتركية لبحث الوسائل الكفيــلة بزيادة حجم التعاون التجارى والاقتصادى بين العراق وتركيــا بعض تقلص نشــاط تركيا مع اسرائيل .

الصــومال : أنفقت الحكومة الصومالية (١٠,٠٠٠) شلن صومالى لتجــديد بعض المســاجد فى الصــومال .

باكســتان : أبلغت باكستان الامم المتحدة أنها لا تستطيع الاعتراف بما يسمى « بنجلاديش » فى باكستان الشرقية لانها لا تنسى أنها جزء من باكستان انفصل عنها بقــوة التدخل الخارجى الهنــدى .

● ذكرت آخر الاحصاءات أن عــــدد ســــكان باكستان الغربية بلغ ٥٨,١٠٠,٠٠٠ .

افغانســتان : سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى كابــول فى شــهر مايــو القــادم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٢ هـ	ديسمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	٦	٤ ٥٥	٦ ٢٨	١١ ٣٨	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١١	١٢ ٧	١ ٤٠	٦ ٥٠	٩ ٤١	١ ٢٣
الخميس	٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الجمعة	٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
السبت	٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤
الجمعة	١٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	١٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	١٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	١٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	١٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	١٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٠	٢٥	٧	٤٠	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢١	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	٢٢	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٣	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٤	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٥	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاحد	٢٦	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٧	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٨	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٩	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الخميس	٣٠	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ؛ وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الجديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩

الدوحــة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت